# الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية

تأليف

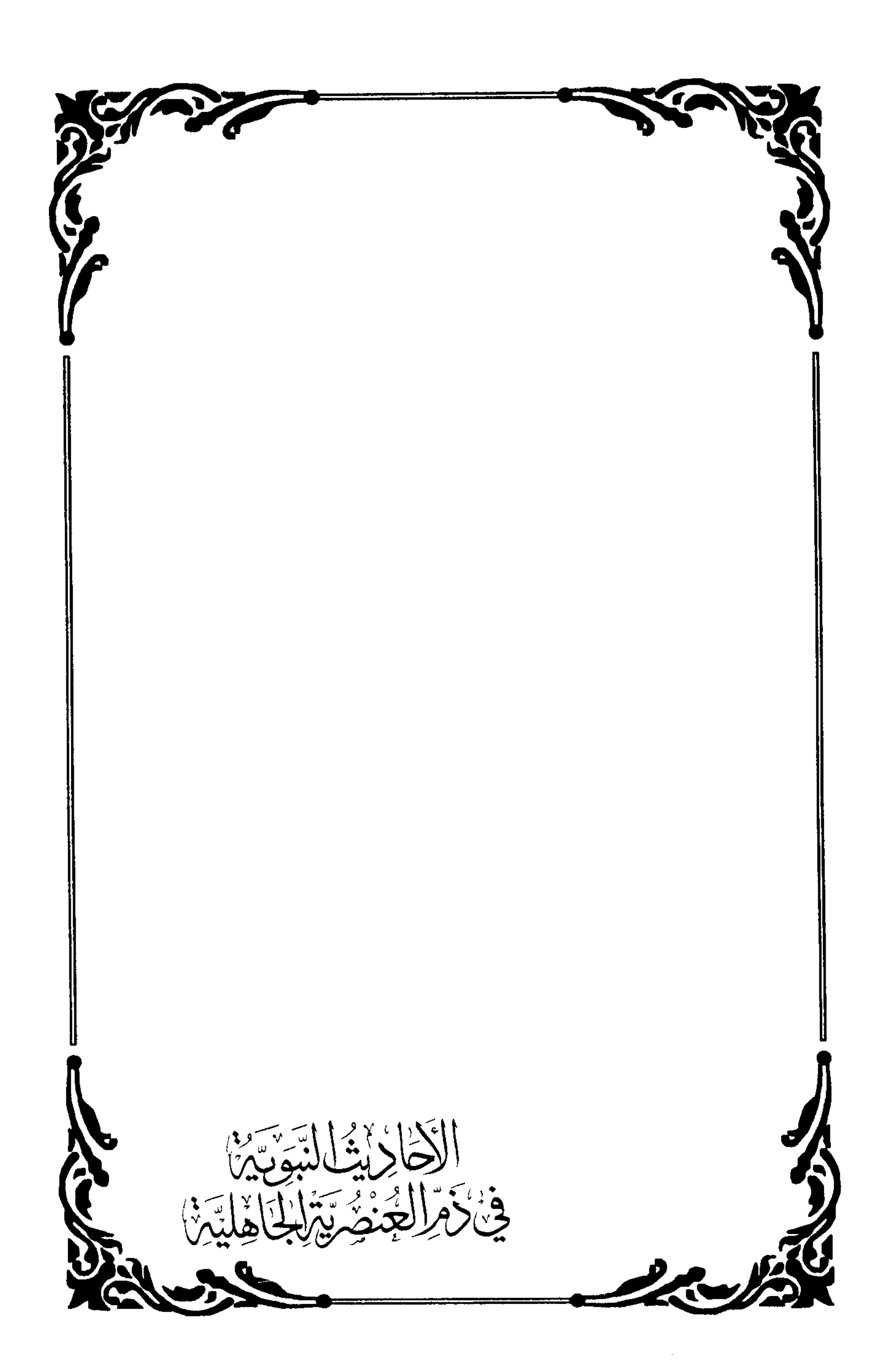
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن برجس العبد الكريم
المتوفى سنة (١٤٢٥هـ) رحمه الله تعالى

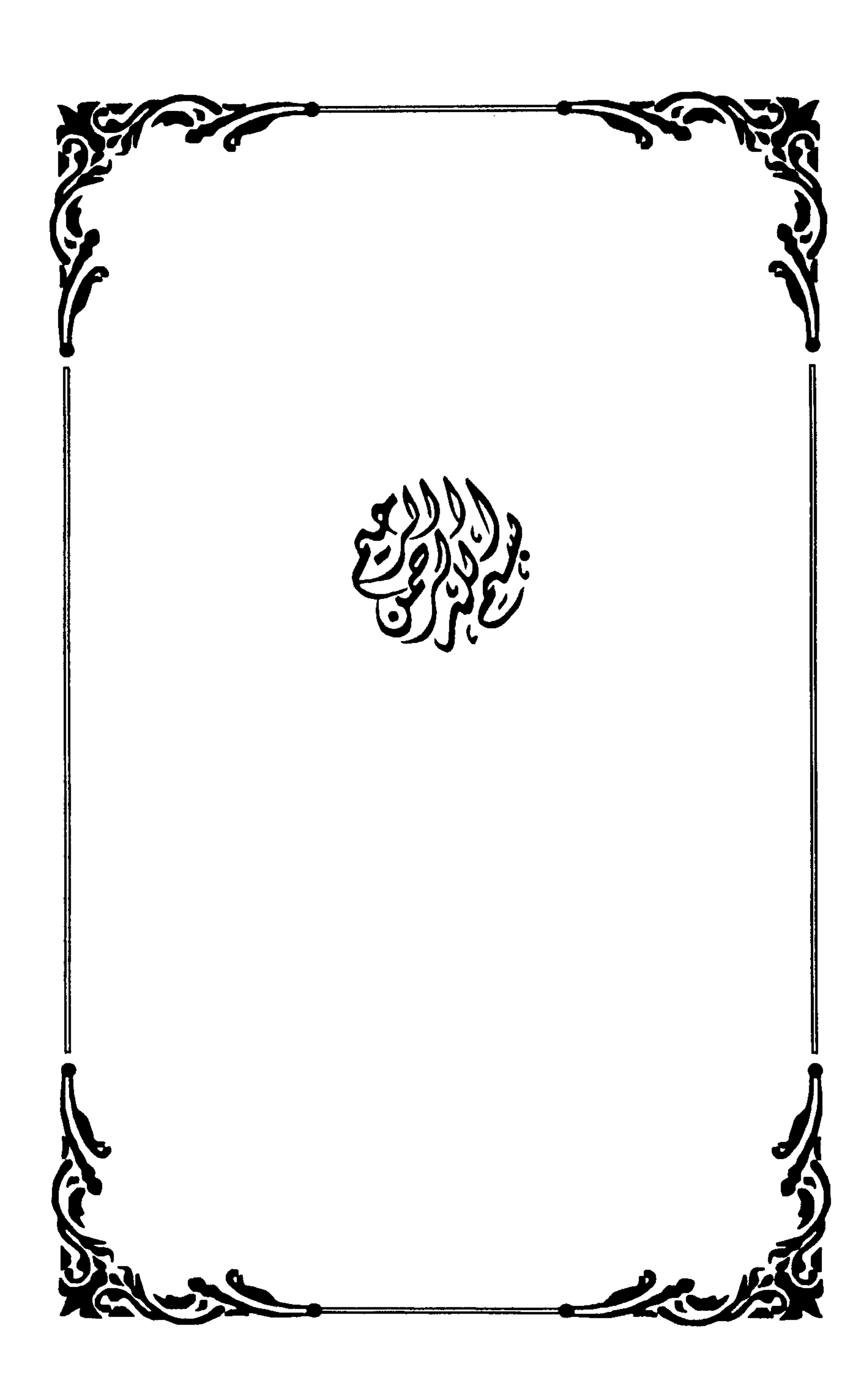
تقريظ

صاحب الفضيلة الشيخ العالم بقية السلف
صالح بن فوزان الفوزان
نفع الله به ومتع به

تقديم

عبد الحي بن حاجي التركماني


الأحاديث النبوية
في ذم العنصرية الجاهلية

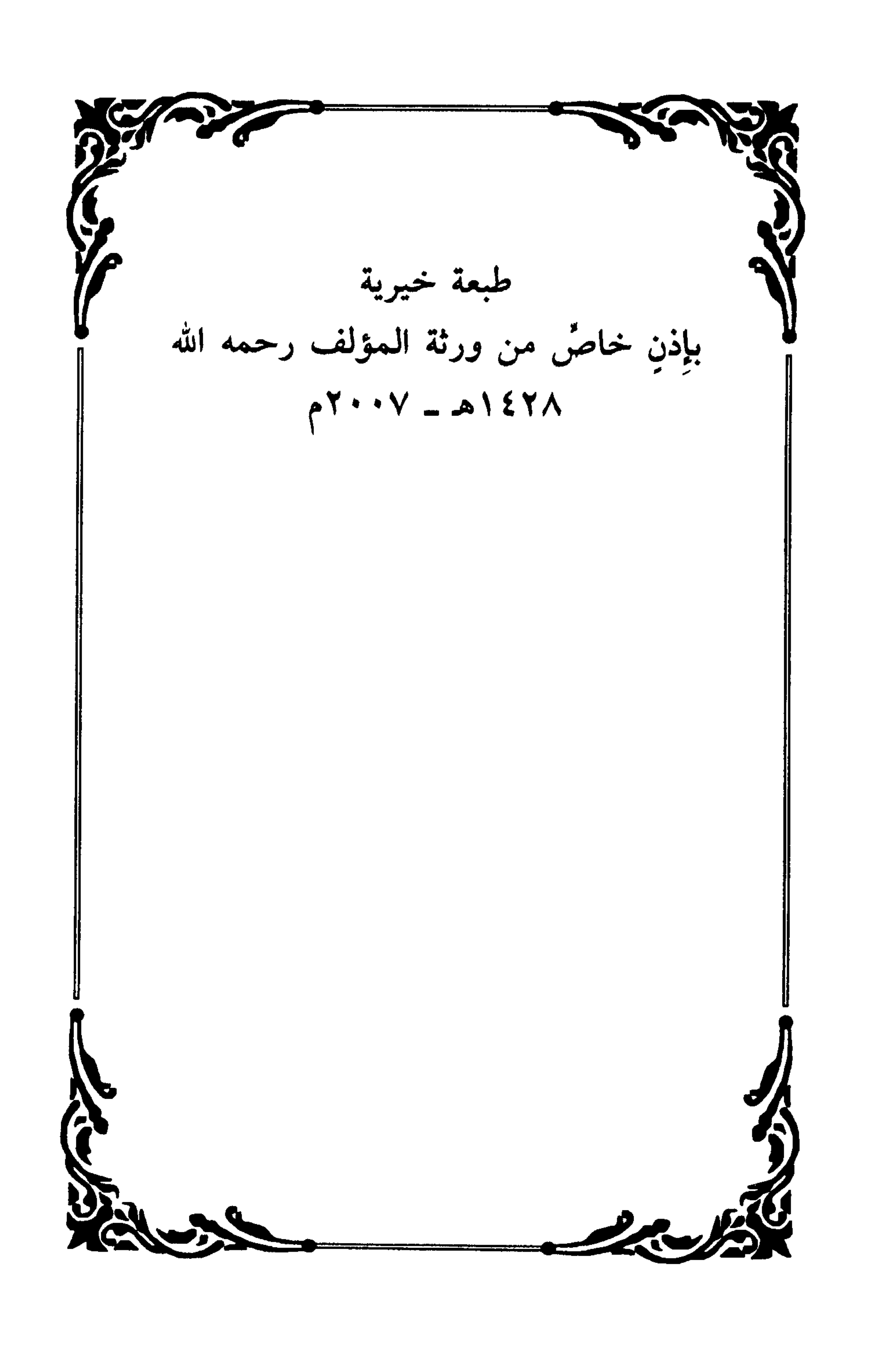

بسم الله الرحمن الرحيم



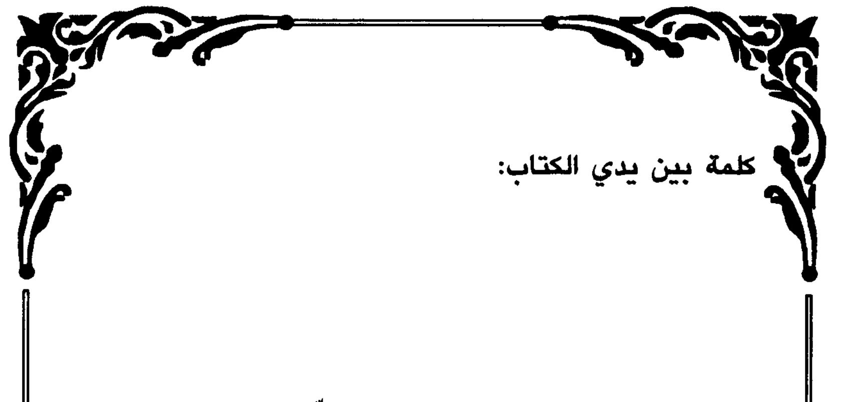

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
**عبد السلام بن برجس العبد الكريم**
المتوفى سنة (١٤٢٥هـ) رحمه الله تعالى

تقريظ
صاحب الفضيلة الشيخ العالم بقية السلف
**صالح بن فوزان الفوزان**
نفع الله به ومتع به

تقديم
عبد الحق بن ملا حقي التركماني



طبعة خيرية
بإذنٍ خاصٍّ من ورثة المؤلف رحمه الله
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



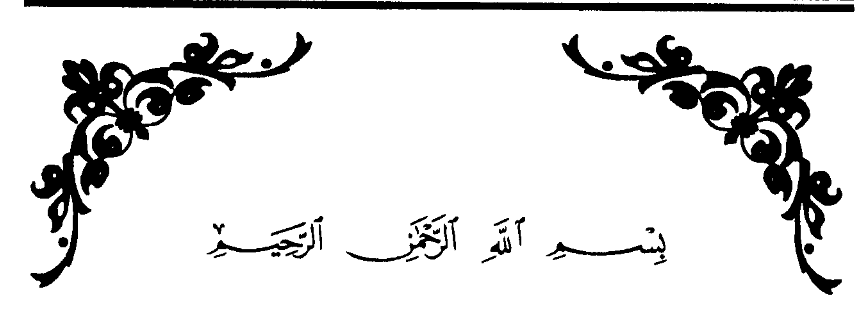
كلمة بين يدي الكتاب:

## القومية في ميزان الحقِّ والهدَى

كتبها:

عبدالحق بن ملا حقي التركماني

عفا الله عنه




الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

## لمن نكتبُ؟

نكتبُ هذه الكلمات لمن رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولاً؛ فمن كان هذا صفته نفعته الذِّكرى، ورفعه العلمُ، وبصَّره الحقُّ وهداه، أما من اختار طريق الغيِّ والشقاء؛ فما لنا وللكلام معه في ما هو من مسمَّى الإيمان ولوازمه ومقتضياته وثماره، إنَّما يكون الكلام معه في أصل الإيمان وأساسه، وذلك يختلف في مبادئه ومقاصده عمَّا نحن بصدده، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ.

## من حقائق الرضَى بالله ربًّا

أمَّا من سعد ووُفِّقَ إلى الحق والهدى؛ فأول ما يعلمه ويقرُّ به من معاني الرضى بالله ربًّا: أنَّ الله تعالى هو المتفرِّدُ بالخلق، فلا خالقَ غيرُه، وكل من سواه فمخلوقٌ له، هم وأفعالهم

وآثارهم، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزُّمر: ٦٢]، وقال جلَّ شأنه: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟

وممَّا يعلمه ويقرُّ به أيضًا: أن الله تعالى متفرِّدٌ بالملك، فلا مالك ـ على وجه الحقيقة ـ إلا هو، ولا يملك الخلق إلا خالقهم، كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ۝١١١﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وممَّا يعلمه ويقرُّ به أيضًا: أن الله تعالى متفرِّدٌ بالتَّدبير والتصرُّف في خلقه وملكه، بيده الأَمرُ، وإليه الحكم، لا رَبَّ سواه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ

يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ [الرعد: ١٦].

وممَّا يعلمُه ويقرُّ به أيضًا: أنَّ الله تعالى متَّصفٌ بصفات الكمال المطلق، فله الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وأنَّ ذلك من ضروريَّات الرضى به ربًّا، فلولا اتصافه بصفات الكمال المطلق المنزَّه من كلِّ عيبٍ ونقصٍ؛ لما كانَ ربًّا ولا خالقًا ولا مالكًا ولا مدبِّرًا، وأنَّ خلقه وملكه وحكمه وتصرُّفه من آثار ربوبيَّته وأسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ فكلُّ ما قضى به وقدَّره، وأنشأه وأبدعه، وسخَّره ودبَّره؛ فهو ـ من حيثُ هو خلقه وفعله وتدبيره ـ: حقٌّ مطلقٌ، وعلمٌ مطلقٌ، وعدلٌ مطلقٌ، وحكمةٌ مطلقةٌ، ورحمةٌ مطلقةٌ، وخيرٌ مطلقٌ، ولو كان في شيءٍ من ذلك نقصٌ أو عيبٌ أو شرٌّ بوجهٍ من الوجوه؛ لامتنعَ أنْ يُنادى بالأسماء الحسنَى، أو أن يوصف بصفات الكمال المطلق، ولَمَا استحقَّ الحمدَ والتسبيحَ؛ سبحانَه تنزَّهتْ صفاتُه، وتقدَّستْ أسماؤُه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، فهو: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ [طه: ٨]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤]، ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٧٠]؛ فكلُّ ما خَلَقَه وقَدَّره، وأمَرَ به في كونه أو شرعه؛ فبمقتضى عِلْمِه وعَدْله، وحكمته ورحمته، لا ربَّ سواه، ولا إله غيرُه.

وممَّا يعلمُه من ضروريَّات الرضَى بالله ربًّا، وأنَّه المتفرِّدُ بالخلق والملك والتدبير، وأنَّ له الأسماء الحسنَى والصفات العُلَى: تحقيقُ توحيد الألوهيَّة، وهو إفراد الله تعالى بجميع العبادات فهو المعبود بحقٍّ لا إله إلاَّ هو، المستحقُّ وحده لجميع أنواع العبادة؛ مثل الدعاء والحبِّ والخوف والرجاء والتوكل والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك، فلا ندعو إلا الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ٥٦]، ولا نخاف إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ولا نتوكل إلا على الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ولا نستعين إلا بالله، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]، ولا نستعيذ إلا بالله؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [النَّاس: ١]، إلى غير ذلك من أنواع العبادة وأفرادها. ولا نجاة لأحدٍ من المكلَّفين إلا بتحقيق هذا التوحيد: توحيد العبادة ظاهرًا وباطنًا، اعتقادًا وقولاً وعملاً، فمن أجلها خلق الله الخلقَ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتحقيق التوحيد لا يكون إلا بالبراءة من الشرك الذي هو سبب الهلاكِ الأبديِّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]؛ لهذا دعا جميعُ الرسل إلى إفراد الله تعالى بالعبادة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النَّحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فكان ذلك أول ما بدؤُوا به في دعوة أقوامهم، كما أخبر ربُّنا سبحانه عن كلٍّ من الرُّسل أنه افتتح دعوتَه بأَنْ قالَ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥. هود: ٥٠، ٦١، ٨٤]؛ فكان توحيد الله تعالى بالعبادة والإخلاص، والقصد والتوجُّه؛ هو القضيَّة الأساس والرئيس في مخالفتهم لهم، وبسببه كُذِّبوا وأُوذُوا، وفي كتاب الله تعالى من قصصهم ما فيه عبرةٌ وعظةٌ وتنبيهٌ على منزلة توحيد العبادة وأهميته، لأنه النوع الذي أنكره الكفارُ قديمًا وحديثًا؛ كما قال تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، وهو من لوازم الإقرار بربوبيَّته، لهذا قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]؛ فوصفُه سبحانه بأنَّه ربُّ العالمين كالتعليل لثبوت الألوهيَّة له، فهو الإله المعبود لأنه ربُّ العالمين، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ

مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]؛ فالمتفرِّدُ بالخلق هو المستحقُّ للعبادة، لهذا قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، والآيات في تقرير توحيد الله تعالى بالعبادة كثيرةٌ جدًّا، وهو قضيَّة القرآن العظيم الأولى والكبرى والأساس، بل القرآن كلُّه من أوله إلى آخره يدور على هذا التوحيد وتقريره وحقوقه ولوازمه وآثاره وجزائه، ويُبيِّنُ ما ينافيه من الشرك ودعاوى أهله وحالهم وجزائهم[1].

## من حقائق الرضَى بالإسلام دينًا:

ومن رضيَ بالإسلام دينًا فإنَّ أول ما يعلمُه ويقرُّ به: قولُ ربِّنا سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، لهذا فهو يعتقدُ جازمًا أن لا سعادة في الدين، ولا نجاة في الآخرة إلا بهذا الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأنَّ معناه: الاستسلام التَّامُّ لله تعالى بالتوحيد والإخلاص،

---

(١) يُراجع في تفصيل هذا «مدارج السالكين» لابن القيم رحمه الله (المقدمة والباب الأخير منه). وفي شرح التوحيد مصنفات كثيرة مشهورة، ولله الحمد والمنَّة.

والانقيادُ له بالطاعة؛ بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهَى عنه، والبراءة من الشرك وأهله. قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وممَّا يعتقده ويقرُّ به: أنَّ كلَّ ما بيَّنه الله تعالى في هذا الدين وشرَعَه؛ فهو ممَّا يُحبُّه ويرضاه، ويحبُّ أهله وأتباعه العاملين به والدَّاعين إليه؛ فيثيبهم بالحسنى في الأولى والأخرى، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

لهذا جعل الله عزَّ وجلَّ التوفيقَ والسعادة، والخيرَ والهداية في أهله، وجعل الكافرين به أهل الغيِّ والشقاوة، والشرِّ والضلالة، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾ [البينة: ٦-٧].

ولهذا أيضًا: فإنَّ الحقَّ والخيرَ والعدل منحصرٌ في أحكام

هذا الدين وشعائره، وما عداه ـ مما يخالفه أو يضادُّه أو ينافيه ـ: فباطلٌ وشرٌّ وظلمٌ وفسادٌ؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

وممَّا يعتقده ويوقن به: أنَّ هذا الدين ليس لقوم دون آخرين، وليس لطائفة دون أخرى، بل هو دين الله تعالى إلى الخلائق أجمعين؛ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم، على مرِّ الدهور والأزمان، ما دامت الحياة على هذه البسيطة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]. وهم إلى ذلك متساوون في خطابه لهم، وحكمه عليهم، فليس فيه حكمٌ مختصٌّ بطائفةٍ من الناس دون غيرها، وليس لأحدٍ أن ينقض عقائده أو يخرج عن أحكامه؛ وإنْ علاَ قدرُه، وشَرُفَ

نسبه: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة: ٣]، ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزَّلزلة: ٧ ـ ٨].

## من حقائق الرضى بمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا ورسولاً

وممَّا يعلمُه ويجزمُ به من رضيَ بمحمَّدٍ رسولاً: أنَّه ﷺ: «عبدُ الله المصطفَى، ونبيُّه المجتَبَى، ورسولُه المرتضَى، وأنَّه خاتم النَّبيِّين، وإمام المتَّقين، وسيِّدُ المرسلين، وحبيبُ ربِّ العالمين، وكلُّ دعوة نبيٍّ بعدَه فغيٌّ وهوًى. وهو المبعوثُ إلى عامة الجنِّ وكافَّة الورى، بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء»(١)، فقد بعثه في آخر الزمان رحمةً للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فمن بلغته دعوته فآمنَ به واتَّبعه؛ اهتدى ونجا، ومن كذَّب به ورفض ما جاء به؛ ضلَّ وهلكَ، وتبيَّن تقرير هذا في الفقرة السابقة. وقال ﷺ: «**كان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً؛ وبعثتُ إلى الناس عامَّةً**»(٢)، وقال ﷺ: «**والذي نفسُ محمَّدٍ بيده! لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به: إلاَّ كان**

---

(١) من كلام الإمام أبي جعفر الطحاويِّ رحمه الله في عقيدته المشهورة. وانظر شرحه في «شرح العقيدة الطحاوية» ١/١٣٩-١٧٢.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

**من أصحاب النَّار**»[١].

وهو آخر الأنبياء والرُّسل، وأفضلهم، وخاتمهم، وسيِّدهم، اصطفاه الله تعالى من خيرِ الأقوام وأفضلها وأكرمها عنده؛ فجعل منهم خير رسله، وأنزل عليه أعظم كتبه، وبعثه بأفضل الشرائع وأتمها وأحبِّها إليه سبحانه، لهذا خصَّه بالمنزلة العالية، والمنح الجليلة. قال ﷺ: «**أنا سيِّدُ وَلَدِ آدمَ يوم القيامةِ، وأوَّل من ينشقُّ عنه القبرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مشفَّعٍ**»[٢]، وقال ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ اصطفَى كِنَانةَ مِن وَلَدِ إسماعيلَ، واصطفى قريشًا من كنانةَ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفانِي من بني هاشم**»[٣]؛ فقد أخرجه الله تعالى من أوسَط العرب نسبًا، وأكرمهم حَسبًا، وأعلاهم كعبًا، وأعظمهم جُرثومةً، وأشرفِهم أصلًا، وأطيبِهم فرعًا[٤].

وأنَّ النبيَّ ﷺ مبلِّغٌ عن الله تعالى، لم يقل شيئًا من رأيه فيما يتعلَّق بأمر الدين: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]؛ لهذا فتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر؛ حتمٌ لازمٌ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.
(٤) حافظ الحكمي: «معارج القبول» ٣/١١٢٧.

يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جليلة.

## سعادة في الدنيا ونجاة في الأخرى

فمن حقَّق هذه الأصول العظيمة وغيرها مما هو من أصول وحقوق ولوازم الرضى بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ رسولاً؛ فقد كملتْ هدايتُه، وتمَّت سعادتُه، ووُفِّق للخير والصَّلاح، وذاق طعم الإيمان؛ كما قال رسول الله ﷺ: «**ذاقَ طعْمَ الإيمانِ: مَن رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ رسولاً**»[1]، ومن ذاق طعم الإيمان فقد وجبتْ له الجنَّة؛ بخبر الصادق المصدوق ﷺ حيثُ قال: «**مَنْ رضيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًا: وجبتْ له الجنةُ**»[2]، ومن كان من أهل هذه الصفة فقد وعدَه الله تعالى بالحياة الطيبة، والهداية والأَمْنِ، وانتفاء الخوف والحُزْن في حقِّه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٣٤) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٨٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]. وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النَّحل: ٩٧]، قال ابن كثير رحمه الله: هذا وعدٌ من الله تعالى لمن عمل صالحًا ـ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى، وسنة نبيِّه ﷺ، من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبُه مؤمنٌ بالله ورسوله وأنَّ هذا العملَ المأمورَ به مشروعٌ من عند الله ـ: بأنْ يُحيِيَه الله حياةً طيِّبةً في الدنيا، وأنْ يجزيه بأحسن ما عمله في الدَّار الآخرة، والحياةُ الطَّيِّبةُ تشتمل وجوه الرَّاحة من أي جهةٍ كانتْ. وقد روي عن ابن عباس وجماعة أنهم فسَّروها بالرزق الحلال الطيِّب. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسَّرها بالقناعة. وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أنَّها هي السعادة. وقال الحسن ومجاهد وقتادة: لا يطيب لأحدٍ حياةٌ إلا في الجنة. وقال الضحاكُ: هي الرزق الحلال، والعبادة في الدنيا. وقال الضحاك أيضًا: هي العمل بالطاعة، والانشراح بها. والصحيحُ: أنَّ الحياة الطيبة تشمل هذا كلَّه كما جاء في الحديث الذي رواه مسلمٌ[١]: عن عبد الله بن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلحَ من أسلمَ، ورُزِقَ كَفافًا، وقنَّعَه الله بما آتاهُ**» وروَى مسلمٌ[٢]: عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَظلِمُ مُؤْمِنًا حسنةً: يُعطَى بها في الدُّنيا، ويُجزَى بها في الآخرةِ. وأمَّا الكافرُ:**

(١) «صحيح مسلم» (١٠٥٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٠٨).

**فيُطعَمُ بحسناتِ ما عمِلَ بها لله في الدنيا حتَّى إذا أفضى إلى الآخرةِ؛ لم تَكنْ له حسَنَةٌ يُجزَى بِها»**[١].

على أنَّ هذه السعادة في الدنيا والسَّلامة في الآخرة؛ لا تكون على وجه الكمال والتمام إلا لمن حقَّق هذه الأصول الثلاثة في نفسه اعتقادًا وقولاً وعملاً على أكمل وجهٍ وأتمِّه مما يكون عليه حال أولياء الله الأتقياء الصالحين، فإن أخلَّ بشيءٍ من حقوقها، أو أنقص شيئًا من واجباتها ولوازمها، وأتى بما ينافيها من الاعتقادات والأقوال والأفعال؛ حُرِمَ - في الدنيا والآخرة - من ذلك الوعد الإلهي، والعطاء الربَّاني؛ بقَدْرِ ما كان منه من الإخلال والنَّقص والعيب والمنافاة، أما مَنْ أتى بما ينقضُها ويُبطلُها من كلِّ وجهٍ؛ فقد حُرِمَ الخيرَ كلَّه، واستحقَّ الوعيد لا الوعدَ.

## عِلَلٌ وأمراضٌ في طريق الرِّضَى

فإذا عُلم هذا فليُعلَم أن كلَّ مسلم معرَّضٌ - بدواعي النَّفْس والهوى والشيطان - إلى أمراضٍ وعللٍ قلبيَّة تُدخل عليه الخللَ والنَّقص فيما هو بسبيل تحقيقه من كمال الرضى بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ رسولاً.

وأمراض القلوب وعللها كثيرة، ترجع في مجملها إلى نوعين كليَّين، يتواردان عليه، وإذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما: مرض الشهواتِ، ومرض الشبهاتِ. هذان أصل داء الخلق إلاَّ من عافاه الله، وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين

(١) «تفسير القرآن العظيم» [النَّحل: ٩٧].

في كتابه: أما مرض الشبهات ـ وهو أصعبهما، وأقتلهما للقلب ـ ففي قوله تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقوله: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣]؛ فهذه ثلاثة مواضع المرادُ بمرض القلب فيها: مرض الجهل والشبهة والشكِّ، وهو راجع إلى فساد العلم. وأمَّا مرض الشهوة ففي قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب: ٣٢]؛ أي: لا تلنَّ في الكلام فيطمع الذي في قلبه فجورٌ وزنًى. وهذا المرضُ راجعٌ إلى فساد الإرادة، فما يكون في القلب من الأمراض كالرياء، والكِبْر، والعُجْب، والحقد، والحسد، والفخر، والخيلاء، وحب الرِّياسةِ والعلوِّ في الأرض؛ فسببها إما من فساد العلم، وإما من فساد الإرادة، وإما باجتماع هذين الشَّرين.

## مرض العنصريَّة القوميَّة:

ومن تلك العلل التي تعرض على النفس؛ فيَمرضُ القلبُ، ويضيقُ الصدرُ، وتخبو البصيرةُ، ويختلُّ ميزان العقل، ويضعفُ الإيمان، ويغلبُ الهوى؛ مرضُ التعصُّب للقوميَّة، والاعتزاز بالعنصرية، وعبودية الفكر والعقل للعِرْق واللسان، والعشيرة والقبيلة. وهو مرضٌ خبيثٌ متركِّبٌ من نوعي أمراض القلوب: فسادُ العلم، وفساد الإرادة، فيجمع جهلاً وظلمًا، وهذان أصلان لمفاسد عظيمة من: بطَرِ الحقِّ، وغَمْطِ النَّاس، واستسهال الكذب والدعاوى الباطلة، وتكذيب الحقائق وإنكار فضائل الغير،

والسخط على الله تعالى في قضائه وقدره، والكبر والعُجْبِ، والبغي والعدوان، والحقد والحسد، إلى غير ذلك ممَّا تزيد القلوب ظُلمةً، والنفوس خُبثًا وشرًّا، وقد تنتهي بها إلى الكُفر المحْضِ، والانسلاخ من الدِّين والأخلاق. نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى.

## منافاة العنصرية القومية للرِّضَى والتسليم:

وإذ قد شرحنا بعض الأصول الجامعة لحقيقة الرِّضى بالله وبدينه وبرسوله ﷺ؛ فلنذكر الآن ـ بإشارة عامَّةٍ مختصرةٍ ـ وجوه منافاة النزعة القومية العنصرية لكمال ذلك، وربَّما نقضها من أصلها:

١ ـ فأول ذلك أن النعرة الجاهلية تدفع صاحبها إلى الاعتراض على الله تعالى في خلقه حتى يودُّ لو أنَّ الله تعالى لم يخلق إلا القوم الذين ينتمي هو إليهم، وكم سمعنا ممن أصيب بهذا المرض يصرِّحُ أنه ما كان لله ـ سبحانه ـ أن يخلق هؤلاء القوم أو أولئك، وربَّما اشتدَّ في غيِّه فرمَى الربَّ القدير بالخطإِ والظلم والجهل، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. وهذه نزعةٌ شيطانية خالصةٌ، فقد كان إبليس أول المعترضين على خلق آدم ـ وهو أبو النَّوعِ الإنسانيِّ ـ فمن اعترض على خلق بعض ذريَّته عليه السلام؛ كان متَّبعًا للسنة الشيطانية القديمة، يحمله على ذلك الكِبْرُ والعُجْبُ والغُرور، كما أخبر الله سبحانه عن إبليس أنَّه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

٢ ـ وتدفعه تلك النَّعرة الجاهلية ـ أيضًا ـ إلى الاعتراض

على الله تعالى في ملكه وتدبيره وحكمه، فالأمر كلُّ بيده سبحانه، يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء، يرفعُ أقوامًا ويضعُ آخرين، ويفضِّلُ بعض الناس على بعضٍ؛ بمقتضى حكمه وقضائه، فيأتي الجاهليُّ المأفونُ ويعترضُ على الربِّ العظيم في تصرفه في ملكه، فيريد أن يذلَّ من أعزهم الله، ويُعزَّ من أذلَّهم الله، ويبخَسَ من فضَّلَهم الله تعالى وخصَّهم بمزيد كرامته حقَّهم ومكانتَهم، فيحتقرهم ويقدح فيهم، ويُكذِّب خبرَ الله تعالى وخبر رسوله في تفضيلهم حسدًا منه واعتراضًا على الله عزَّ وجلَّ.

وهذه منهجية جاهلية نبَّه عليها القرآن الكريم عندما اعترض المشركون الأولون على اختيار الله تعالى لمحمَّد بن عبد الله الأُمِّي الهاشميِّ للرسالة الخاتمة فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فقال الله تعالى في جوابهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي: هَلاَّ كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يعنون مكة والطائف. قاله ابن عباس، وعكرمة، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، والسُّدِّي، وابن زيد. قال الله تعالى رادًّا عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ﴾؟ أي: ليس الأمر مردودًا إليهم، بل إلى الله عزَّ وجلَّ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا يُنْزِلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلاً. ثم قال تعالى مبيِّنًا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من

القوى الظاهرة والباطنة.. وقوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قيل: معناه ليُسخِّر بعضهم بعضًا في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره. وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضًا. وهو راجع إلى الأول.

فانظر إلى هذه العقلية الجاهلية كيف اعترض أصحابُها على نبوة الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام من غير مقتضٍ لذلك سوى أنَّه ليس بذاك العظيم حسب مقاييسهم الدنيوية المادية، فكان جوابهم أن رحمة الله تعالى ـ وهي هنا الوحي والرسالة ـ لا تخضع للمقاييس المادية والطبقية والعنصرية، وأنَّ ما بين البشر من تفاوت فيها إنما هو لحكمٍ عظيمةٍ ومنافع جليلة، راجعة إليهم لو أنهم يستفيدون منها على وجهٍ حسنٍ.

٣ ـ وتدفعه تلك النعرة الجاهلية ـ أيضًا ـ إلى الإخلال بتوحيد الله تعالى في أسمائه الحسنَى وصفاته العُليا، فلا يشاهد آثارها في خلق الله تعالى وتصرفه في ملكه، بل يشاهد ما ينافيها أو ينقضها، كما يعتقد كثيرٌ من الأعاجم ـ ممَّن حملهم تعصُّبُهم لقوميَّتهم على ذمِّ العرب واحتقارهم ـ أنَّ الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فجعل أعظم كتبه، وأشرفَ رسله، ودينَه الكامل، ونعمتَه التامَّة الخاتمة: في أحقر أهل الأرض منزلةً، وأسوئهم حالاً، وأفسدهم أخلاقًا، وأوضعهم شأنًا، وأسخفهم عقلاً، وأبعدهم عن الحق والخير، ألا وهم العربُ! معاذ الله تعالى من هذا القول الرديِّ الذي لا يقوله إلا جاهلٌ بربِّه، غافلٌ عن أسمائه وصفاته، ولو قيل له: إن فلانًا أراد أن يُحمِّل إنسانًا أمانةً بالغةَ الأهمية والقَدْر؛ فاختار من بين من يعرفهم: أرذَلَهم وأخسَّهم! لقال هذا المعترضُ على ربِّه الحكيم: «إنَّ فاعل ذلك فاسد العقل

والاختيار، عديمُ الحكمة، غاية في الجهالة والظلم!» فكيف يصحُّ أن يُنسب مثل هذا الصنيع لله ربِّ العالمين: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠].

٤ ـ ومن آثار العصبية القومية الإخلال بتوحيد الله تعالى في العبادة والإخلاص والتوجُّه، وهو الغاية الكبرى، والوظيفة العُظمى التي من أجلها خلق الله تعالى الجنَّ والإِنسَ، لكن مَن شغلت العصبيات القومية والنَّعرات الجاهلية فكره وقلبه؛ أنَّى له أن يقوم بهذا الواجب كما أمره الله تعالى به، فقلبه متعلِّق بغير الله تعالى: يعظِّم بني قومه وإن كان فيهم من ليس عظيمًا في ميزان الله، ويحبِّهم جميعًا لصلة الدمِّ وإن كان الله تعالى يبغضهم ـ كلَّهم أو بعضَهم ـ ويلعنهم؛ لكفرهم وفجورهم، ويواليهم وإن كان الله تعالى أمر بمعاداتهم، وفي مقابل ذلك: يحتقر من يستحقُّ التعظيم لقيامه بأمر الله، ويبغض من يستحقُّ الحبَّ لطاعته وصلاحه واستقامته، ويتبرَّأ ممَّن يستحق الموالاة والنصرة بأمر الله تعالى. فإذا انحرف القلبُ عن منهاج الله؛ نطق اللسان بالباطل والزُّور، وسعت الجوارح بالظلم والعدوان، واستسهل صاحبه أن يشارك بني قومه في أعمالهم وصنائعهم لنصرة قوميَّتهم، وفي أعيادهم وخصائصهم الجاهلية؛ فيخالطهم ويتعاون معهم: لا يتبرَّأ من مُلْحِدِهم، ولا يَنْفِرُ من فاسقهم، بل يخالطهم ويشاركهم ساكتًا عن باطلهم؛ فلا يجرؤُ على نقد عقائدهم الفاسدة وعباداتهم المنحرفة ومنكراتهم الظاهرة، لأنَّه لو فعل ذلك لفرَّق بين بني قومه الذين لم تجمعه بهم إلا رابطةُ

القومية. فيا لله! ما أعظم خطر النَّزْعة القومية على عبودية القلب واللسان والجوارح لله ربِّ العالمين!

٥ ـ ومن آثارها أيضًا: أنها تنافي كمال الرضى بالإسلام دينًا أو تنقضه، فقد جعله الله تعالى منهاجًا لحياة المسلم، ونظامًا ضابطًا لإرادته وتصرفه، وجعل السعادة والتوفيق في الدنيا والنجاة في الآخرة بالقيام به، ولا يتيسَّر هذا إلا لمن تجرَّد له واستسلمَ لحكمه، والإنسان القومي إنما يظنُّ أن صلاح نفسه وقومه بنصرة العرق والجنس، فهو منهاج للتصور والتصرف، ومصدر للتوفيق والسعادة، ونيل المكاسب، وبلوغ الآمال والغايات. فينتج من ذلك بُعدهم عن الله، وعن دينه وشرعه، فإن كانت فيهم نَقِيَّةٌ تشتَّتْ أفكارُهم وتنازعتْ إراداتُهم بين داعِيَيِ الدِّينِ والقومية، وإلا صار حالهم ـ كما هو الغالب على هذا الصِّنف ـ الإعراض عن دين الله، ونبذ منهاجه وشرعه، ورمي من تمسَّك به، واختار الحياة بهديه؛ بكلِّ قبيحةٍ.

٦ ـ ومن آثارها أيضًا: إحياء شعارات الجاهلية التي قضى عليها الإسلام؛ لهذا نجد عند القوميِّين حرصًا بالغًا على بعث وإحياء أعياد آبائهم الأقدمين أيام جاهليَّتهم ـ ولا يشفعُ لهم تسميتهم لها بالمناسبات والذكريات، فالأسماء لا تغيِّر من حقائق الأشياء ـ، ونجد عندهم أيضًا تعظيم رجالات الجاهلية ورموزها، وتتبع آثارها، والتعلُّق بأصنامها وأوثانها، وصورها وبقايا أطلالها، وتقاليدها وعوائدها، بل نجد عندهم أيضًا: إحياء بعض معتقداتها وأساطيرها وألفاظها، ومفاهيمها حول الدِّين والكون والحياة؛ وغير ذلك من الأقوال والأفعال الكثيرة ممَّا هو شركٌ محضٌ، أو ذريعة إلى الشِّرك، ومخالفة لسُنن المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وسيجد القارئ في بعض الأحاديث الواردة في هذا الكتاب: أنَّ النَّعرة القومية العنصرية هي من أمور الجاهلية التي بعث النبيُّ ﷺ بنقضها وإبطالها؛ فإحياؤها إحياء لسنة من سنن الجاهلية الأولى، والعياذ بالله تعالى(١).

٧ - ومن آثارها السيِّئة على كمال الرضى بنبوَّة محمدٍ ﷺ: أنَّ من ابتلي بهذا المرض العضال من غير العرب لا يتأتَّى له ولا منه الرضى التامُّ والتسليمُ المطلَقُ به ﷺ رسولاً مصطفًى، ونبيًّا مجتبًى، لأنَّه يرى أن الجنس الذي ينتمي هو إليهم أشرفُ وأفضلُ، وأولى بالخصائص والمنح من سائر الأقوام - العرب وغيرهم - فهو يؤمن به ﷺ ويتَّبعُ دينه مع حَسْرةٍ في صَدْرِه، وحَيْرةٍ في قلبه، واضطرابٍ في فهمه، حتَّى سمعنا ممَّن ابتلي بهذا المرض - من أهل الصلاة والصوم والانتماء إلى الحركة الإسلامية(!!) - يصرِّحُ أنه لا يفهم لماذا جعل الله تعالى رسولَه الخاتم من العرب؟! ولا يفهم لماذا جعل سبحانه رسالتَه العامَّة الخاتمة فيهم؟! لكنَّه يرضى ويُسلِّم لا بحبٍّ وسعادةٍ وانشراحِ قلبٍ لحكمة الله تعالى وعدله ورحمته وعلمه، وإنَّما بشكٍّ وريبٍ وحَسْرةٍ وحيرةٍ. فانظر ماذا تصنع القومية الجاهلية بدين أصحابها! أما من نوَّر الله عقلَه، وهدى قلبَه، ووفَّقه للفهم عن الله تعالى؛ فيعلم يقينًا لا شكَّ فيه: أنَّ الله تعالى لم يجعل رسالته الشريفة

(١) وأنصح القارئ بدراسة كتاب: «شرح مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسولُ الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية» لعلامة العراق جمال الدين أبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بهاء الدين بن أبي الثناء شهاب الدين محمود الحسيني الآلوسي البغدادي، ولد في بغداد سنة (١٢٧٣هـ/١٨٥٦م)، وتوفي فيها سنة (١٣٤٢هـ/١٩٤٢م) رحمه الله تعالى.

الزكيَّة إلا في أشرف الأقوام وأزكاها في جنسها وعقلها وأخلاقها وطباعها، وأنَّ هذا من مقتضى علمه وحكمته وعدله ورحمته، وأنَّ الطعن في هذا إنَّما هو طعن في الله عزَّ وجلَّ واعتراضٌ عليه، لهذا اتَّفق أئمة السلف الصالح على أنَّ حبَّ العرب إيمانٌ وبُغضهم نفاقٌ، وأنَّه لا يطعن في جنس العرب إلا من ينطوي على نوعِ نفاقٍ.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية النُّميريُّ (ت: ٧٢٨ هـ) رحمه الله: «إنَّ الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقادُ أنَّ جنس العرب أفضل من جنس العجم: عبرانيِّهم، وسريانيِّهم، روميِّهم وفُرسيِّهم، وغيرهم. وأنَّ قريشًا أفضل العرب، وأنَّ بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم. فهو: أفضلُ الخلق نَفْسًا، وأفضلهم نسبًا. وليس فضل العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم؛ لمجرَّد كون النبي ﷺ منهم ـ وإن كان هذا من الفضل ـ بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله ﷺ: أنه أفضل نفسًا ونسبًا، وإلا لزم الدَّور. ولهذا ذكر أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرمانِيُّ[1] ـ صاحب الإمام أحمد ـ في وصفه للسنة التي قال فيها: «هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، وأدركتُ من أدركتُ من علماء أهل العراق والحجاز والشام

---

(١) المتوفَّى سنة (٢٨٠ هـ) رحمه الله، ترجم له الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٣/٢٤٤ (١٢٧) ووصفه بالإمام العلامة الفقيه، وقال: رحل وطلب العلمَ، ومسائلُ حربٍ ـ يعني عن الإمام أحمد رحمه الله ـ من أنفس كتب الحنابلة، وهو كبيرٌ في مجلدين، قال أبو بكر الخلال (ت: ٣١١ هـ): كان رجلاً جليلاً، حثَّني المرُّوذيُّ على الخروج إليه.

وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق، وهو مذهبُ أحمدَ، وإسحاقَ بن إبراهيم بن مَخْلَدٍ[١]، وعبد الله بن الزبير الحميديِّ[٢]، وسعيد بن منصورٍ[٣]، وغيرهم ممن جالَسْنا، وأخذْنا عنهم العلمَ، وكان من قولهم: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ» وساق كلامًا طويلًا، إلى أن قال: «ونَعرِفُ للعرب حقَّها وفضْلَها وسابقَتَها ونُحِبُّهم؛ لحديث رسول الله ﷺ: «**حبُّ العربِ إيمانٌ وبغضُهم نفاقٌ**»[٤]، ولا نقول

---

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه إسحاق بن راهويه الحنظلي (ت: ٢٣٨ هـ) رحمه الله.

(٢) الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر الحميدي المكي (ت: ٢١٩ هـ)، أجلُّ أصحاب سفيان بن عيينة، قال الحاكم: «كان البخاريُّ إذا وجد الحديث عند الحميديِّ لا يعدوه إلى غيره». رحمه الله.

(٣) صاحب «السنن»، وهو إمام حافظ جليل، مات سنة (٢٢٧ هـ) رحمه الله.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٨٧/٤ عن أنسٍ رضي الله عنه. وصحَّحه الحاكم، وتعقَّبه الذهبيُّ بأنَّ في إسناده الهيثم بن جمَّاز وهو متروك الحديث، وعنه معقل بن مالك ضعيف الحديث. فالحديث ضعيف، بل إن كل الأحاديث الصريحة بذكر تفضيل العرب لا يصحُّ منها شيءٌ، وقد خرَّج معظمها العلامة الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١١٩٠-١١٩٢). وفي حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ـ الآتي في آخر هذا الكتاب ـ وما في معناه من الأحاديث الصحيحة غُنية عن الأحاديث الضعيفة، خاصة أن ذلك مقتضى الاصطفاء الإلهي لهم لحمل الرسالة وما يلحق ذلك من ميِّزات وأحكام متقررة في الكتاب والسنة، لهذا قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ـ بعد أن قرَّر ضعف تلك الأحاديث ـ: بَيْدَ أن ذلك لا ينافي أن يكون **جنس العرب أفضل من جنس سائر الأمم، بل هذا هو الذي أؤمن به، وأعتقده، وأدين الله به؛ وإن كنتُ ألبانيًا، فإنّي مسلمٌ ولله الحمد.** ذلك =

بقول الشعوبيَّة، وأراذل الموالي الذين لا يُحبُّون العربَ، ولا يُقرُّون بفضلهم، فإنَّ قولهم بدعةٌ وخلافٌ». ويُروَى هذا الكلام عن أحمدَ[١] نفسه، في رسالة أحمد بن سعيد الإصْطَخْرِيِّ عنه؛ إن صحَّت[٢]. وهو قولُه وقولُ عامة أهل العلم. وذهبتْ فرقة من الناس إلى أن لا فضلَ لجنس العرب على جنس العجم. وهؤلاء يُسمَّون: الشعوبية، لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل: القبائل: للعرب، والشعوب: للعجم. ومن الناس من قد يفضِّل بعض أنواع العجم على العرب. والغالبُ أنَّ مثل هذا الكلام لا يصدرُ إلا عن نوع نفاقٍ: إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك، ولهذا جاء في الحديث: «**حبُّ العرب إيمان وبغضهم نفاقٌ**»؛ مع أنَّ الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوًى للنفس،

---

= لأنَّ ما ذكرتُه من أفضلية جنس العرب هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، ويدلُّ عليه مجموعة من الأحاديث الواردة في هذا الباب منها قوله ﷺ: «**إنَّ الله اصطفى من وَلَدِ إبراهيمَ إسماعيلَ..**». وساق حديث واثلة.

(١) يعني إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) رحمه الله تعالى.

(٢) تجد رسالة الإصطخري في ترجمته في «طبقات الحنابلة» للقاضي ابن أبي يعلى ١/ ٢٤-٣٦؛ بروايته عن الإمام أحمد، وساقها بتمامها، ونقل منها ابن مفلح في «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» ١/٨٤. وممَّن شكَّك في صحَّتها أيضًا الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» ١٣٦/١٨. والإصطخري: هو أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسي، لم يذكروا في ترجمته سوى أنه روى عن الإمام أحمد أشياء، منها هذه الرسالة. ووقع عند ابن تيمية ـ كما ترى ـ: (أحمد بن سعيد)، وهو خطأ.

ونصيبٍ للشيطان من الطَّرَفَيْنِ[١]، وهذا مُحرَّم في جميع المسائل.

---

(١) يشيرُ شيخ الإسلام رحمه الله إلى ما قد يكون من طرف بعض العرب أيضًا من الانحراف في فهم تفضيل الله تعالى لجنسهم ومن الهوى والبغي في ذلك، كما حصل عند القوميِّين العرب من جعل القوميَّة العربية مادة للفكر والتصور، وبديلاً عن المنهج الإلهي، ومحورًا للتعصب والعنصرية. وقد تصدَّى أئمة العلم والدعوة من العرب وغيرهم لنقض مقولاتهم، منهم إمام العصر الراحل عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في رسالته: «نقد القومية العربية». وقال العلامة الألباني رحمه الله ـ بعد أن قرَّر أفضلية العرب في كلامه السابق ـ: ولكن هذا ينبغي ألاَّ يحمل العربيَّ على الافتخار بجنسه، لأنه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا محمد العربيُّ ﷺ، كما ينبغي أن لا نجهل السبب الذي به استحق العرب الأفضلية، وهو ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهَّلهم لأن يكونوا حملة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، فإنه إذا عرف العربي هذا وحافظ عليه؛ أمكنه أن يكون مثل سَلَفِه عضوًا صالحًا في حمل الدعوة الإسلامية، أما إذا هو تجرد من ذلك فليس له من الفضل شيءٌ؛ بل الأعجميُّ الذي تخلَّق بالأخلاق الإسلامية هو خير منه دون شكٍّ ولا ريب، إذ الفضل الحقيقي إنما هو اتِّباع ما بعث به محمد ﷺ من الإيمان والعلم، فكلُّ مَن كان فيه أمكن؛ كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحدَّدة في الكتاب والسنة، مثل: الإسلام، والإيمان، والبرِّ، والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرَّد كون الإنسان عربيًّا أو أعجميًّا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: **«من بطَّأ به عملُه لم يُسرع به نسَبُه»**. رواه مسلم، ولهذا قال الشاعر العربيُّ:

لَسْنا وإنْ أَحسابُنا كَرُمَت يومًا على الأَحسابِ نَتَّكِلُ
نَبْني كما كانتْ أوائِلُنا تَبْنِي ونَفْعلُ مثل ما فعَلُوا

وجملة القول: إنَّ فضل العرب إنَّما هو لمزايا تحقَّقت فيهم، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم ذهبَ فضلهم، ومن أخذ بها من الأعاجم كان خيرًا منهم: **«لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ إلا بالتقوى»**، ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة، وهو لا يتَّصف بشيء من خصائصها المفضِّلة، بل هو أوربي قلبًا وقالبًا! قلتُ: وكلام الألباني الأخير متعلِّقٌ بالنَّوع لا بالجنس؛ فتنبَّه.

فإنَّ الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعًا، ونهاهم عن التَّفرُّق والاختلاف، وأمرهم بإصلاح ذات البين، وقال النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطفهم؛ كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحُمَّى والسَّهر**»(١). وقال ﷺ: «**لا تقاطعوا، ولا تدابَروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانًا، كما أمركم الله**»(٢)؛ وهذان حديثان صحيحان. وفي الباب من نصوص الكتاب والسنة ما لا يُحصى»(٣).

قلتُ: لهذا كلِّه كان هذا الأصلُ ـ وهو اعتقاد تفضيل العرب ـ متقرِّرًا عند أهل الإسلام والسنة، والعلم والفضل، وإن كانوا من غير العربِ، فهذا الفقيه المحدِّث العلامةُ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، المشهور بالحافظ العراقيِّ (ت: ٨٠٦ هـ) رحمه الله؛ قد ضاق صدرُه ممَّا كان في زمانه من غلبة الأعاجم، والانتقاص من العرب، فدفعته غَيْرتُه الدِّينيَّة الخالصةُ إلى تأليف كتاب جامع للأحاديث المرويَّة في هذا الباب، سمَّاه: «مَحَجَّةَ القُرَبِ في مَحَبَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» ١/٤١٩-٤٢٢، ثم ساق شيخ الإسلام رحمه الله الأحاديث الدالة على فضل العربِ، وبيَّن ضعف بعضها، وساق حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ـ الآتي في آخر هذا الكتاب ـ وهو في «صحيح مسلم» وهو العمدةُ في هذا الباب، ونقل المؤلف رحمه الله من كلام شيخ الإسلام أيضًا وهو تتمة ما هنا، فراجعه هناك فإنه نفيسٌ جدًّا.

العَرَبِ»، هذا وهو لا ينتسب إليهم، بل هو كُرْدِيٌّ صَلِيبةً[1]، لكنَّه قام بما أوجبَه الله تعالى على أهل العلم وأخذ عهده عليهم من بيان الحقِّ، وعدم كتمان العلم، وهذا هو صنيع أتباع الرُّسل عليهم الصلاة والسلام القائمون لله في كلِّ عصر بحجة، وليس كحال من انتسب إلى الدعوة الإسلامية؛ ثمَّ جعل منهجه كتم الحقِّ والتلبيس على الناس، والسَّعي لإرضائهم واسترضائهم بالسكوت عن ما عندهم من جهل بأمر دينهم أو خلل وانحراف عنه، وإشغالهم بما يوافق أهواءهم من إرادة الدُّنيا بأمر الآخرة، فالله حسيبهم، وإليه منقلبهم.

## لا يصلحُ آخرُ هذه الأمَّة إلا بما صلح به أوَّلها:

فهذه جملة أمورٍ أحببتُ الإشارة إليها، وهي من الوجهة الدينية المحضة، وليس الغرض التطرق إلى المسألة القومية من الوجهة الفكرية والتاريخية والسياسية، فذلك أمر يطول البحث فيه، وقد كُتب فيها الكثير من البحوث والمؤلفات، وهي على اختلاف مناهجها ومقاصدها قد تكون مفيدة في

---

(١) صليبةً: أي من أصلابهم، فقد نقل الحافظ السخاوي في «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» ١٧١/٤ عن أبي زرعة ولي الدين أحمد ابن الحافظ العراقي (ت: ٨٢٦ هـ): «أنَّ والده عُرف بالعراقيِّ انتسابًا لعراق العرب؛ وهو القطر الأعمُّ، وإلا فهو كُرْديُّ الأصل، أقام سلفه ببلدة من أعمال إِرْبِل [أَرْبيل]، يقال لها: رازنان، ولهم هناك مآثر ومناقب، إلى أن تحوَّل والده لمصر وهو صغير مع بعض أقربائه». ووصفه تلميذه الحافظ ابن حجر العسقلاني في «إنباء الغُمر بأَبناء العُمر» ٢٧٥/٢ بأنه: «المهرانيُّ المولد، العراقيُّ الأصل الكرديُّ».

بابها، على أنَّها لا تستطيع أن تهدي العقول، وتشفي القلوب، إلا من حيثُ تضمُّنها للخطاب الدِّيني الصَّحيح ـ إن تضمنتها ـ، فإنَّ الناس يتفاوتون في مداركهم ومقاصدهم وإراداتِهم، وفي فهمهم وتفسيرهم لحركة الكون والحياة والنَّاس، فمن ضبط فهمَه وحكَمَ عقلَه بكتاب الله تعالى وسنة نبيِّه ﷺ ومنهج سلف الأمة الصَّالح: وُفِّق للحقِّ والصواب والخير، ومن انطلق يبحث في زبالات الأفكار البشرية عن الرأي والرأي الآخر: لم يزدد إلا حيرةً واضطرابًا، ولم يرجع منها إلا بتيهٍ وضلالٍ.

لهذا كلِّه رأينا أن نشارك في نشر هذه الرسالة القيِّمة: «الأحاديث النبوية في ذمِّ العنصريَّة الجاهليَّة» لأخينا الراحل فضيلة الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم؛ رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنَّاته[1]، وقد جمع فيها جملة طيِّبة من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام في هذا الموضوع الهامِّ، وهي كافيةٌ في تعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، وهداية الضالِّ، من غير تكلُّف ولا تشدُّق ولا تفلسفٍ، ومن لم ينفعْهُ حديثُ رسول الله فلا نفعَه الله!

---

(١) توفي في الرياض ليلة السبت ١٤٢٥/٢/١٣هـ إثر حادثٍ مروريٍّ. ومن أحب الاطلاع على ترجمته وآثاره العلمية فعليه بهذا الموقع على الشبكة العالمية:

http://www.burjes.com

وقد اعتمدنا في هذه الطبعة على الطبعة الأولى: مكتبة الرشد، الرياض: ١٤٢٦ هـ، بإذن خاص من ورثة المؤلف رحمه الله وجزاهم خيرًا. وأضفتُ إلى الكتاب تعليقات يسيرة جعلتها بين معقوفتين هكذا: [...].

## تميُّز دعوة منهاج النبوَّة عن الدَّعوات البدعيَّة:

ويأتي سعينا في طبع ونشر هذا الكتاب لأداء بعض ما يجب علينا من النصيحة لقومنا، وإرادة الخير لهم، والحرص على إيصال الحق والهدى إليهم، وهذا هو منهج رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين بدؤوا قبل كل شيء بإصلاح أقوامهم، وكان أول ما بدؤوا به معهم إصلاح عقائدهم وعباداتهم، والمجاهرة بإنكار ما كان فيهم من موبقات الجاهلية ومنكراتها، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال أول الرُّسل نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٢]، وبنحو هذا أخبر ربُّنا سبحانه عن دعوة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل الكرام، كلٌّ قد بدأ بدعوة قومه بما يخالف أهواءهم وموروثاتهم وعوائدهم، ولم يكن نبيٌّ ولا رسولٌ قطُّ: «نموذجًا للزَّعيم المندفع العَصَبِيِّ المزاج»، وحاشاهم من أن يبدو على أيٍّ منهم: «التعصُّبُ القوميُّ كما يبدو الانفعال العصبيُّ»، بَلْهَ أَنْ: «يُنسيه التعصُّبُ والاندفاعُ استغفارَه وندمَه وخوفَه وترقُّبه»؛ كما زعمَ جاهلٌ بمراتب الأنبياء وحقوقهم،

وبالغايات والمقاصد التي بعثوا من أجلها؛ كما أخبر ربنا سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل: ٣٦]، وقال تعالى ـ بعد أن ذكر أسماء جملة من الرسل عليهم السلام ـ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّساء: ١٦٥].

فمن أراد أن يتبع هداهم، ويسير على غَرْزِهم فعليه بتصحيح النية، والإخلاص في الدعوة، والتجرد للحقِّ، والجهر به، وأداء النصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم. وهكذا كان منهج السلف الصالح قديمًا وحديثًا في صفائه وبهائه واستعلائه على الأغراض الدنيوية والمقاصد الدنيَّة، أما تحويل الدعوة الإسلامية إلى مشروع مُواءَمَةٍ لأهواء الناس ورغباتهم ونزعاتهم، ومنازعتهم في دنياهم؛ فهو انحراف عن منهاج النبوة، وخيانة للمدعوِّين وإساءة إليهم؛ لأنَّهم لا يزدادون بليِّ عُنق الدعوة، وتحريف خطابها الدِّينيِّ؛ إلا اغترارًا بما هم عليه من جهلٍ وخطإٍ وباطلٍ وضلالٍ، في الوقت الذي هم فيه أحوج ما يكونون لمن يعينهم على الخروج من ظلمات الجهل، وقيود النَّفس والشيطان. وهذا ما يراه كلُّ باحث منصف في آثار الدعوات المنحرفة على أصحابها، حيث لم يستفيدوا ـ رغم كثرة النشاطات والمؤسسات والأموال والأعمال ـ شيئًا يقرِّبهم إلى الله تعالى ويرفعهم عنده؛ لا علمًا نافعًا، ولا عملاً صالحًا ـ إلا ما شاء ربُّك ـ، إنما مَدَّتهم تلك الدعواتُ بمزيد تزيينٍ وغيٍّ، فازدادوا قناعةً بما هم عليه من النَّزعة القوميَّة الجاهليَّة، حيث صُبغت بصبغة إسلاميةٍ خادعةٍ، ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها: مقاصد مادية،

وأهداف حزبيَّة، ومنازعة على الدنيا ومكاسبها.

ولما كان لفساد المقاصد والانحراف عن السنة أثرًا بالغًا على نتائج التصرفات والأعمال؛ صار ما نراه من نتائج أعمالهم عبرةً لكلِّ معتبرٍ: فأتباعهم خليط غير متَّفقٍ ولا متجانسٍ لا في العقيدة ولا في المنهج ولا في الفكر ولا في التصرف. فإذا وحَّدت موقفهم حزبيَّة بغيضة ومصالح مشتركة ومنافع متبادلة؛ فرَّقت قلوبَهم عقائد متناقضة، واهتمامات متباينة، وإرادات متدافعة؛ فأصابتهم بالوحشة والحيرة والتناقض.

وإن من الشواهد القوية التي تُنادي بإفلاس المناهج المنحرفة عن منهاج النبوَّة أن تَعْمَدَ الحركةُ الإسلاميةُ إلى لَبوس لباسِ قوميةٍ من القوميات لكسب قلوب وغثائيَّة أهلها، وتعمدَ ـ في الوقت نفسه ـ إلى لبوس لباس قوميَّة أخرى لاسترضاء قوم آخرين، لتربطَهم جميعًا بتنظيمها العالميِّ، وتسخِّرهم لأهدافها السياسية ومشاريعها الحزبيَّة، وهي تعلم جيِّدًا أن في ذلك إقرارًا، بل تقويةً، بل أسلمةً وتأصيلاً لما بين أنصار القوميَّتين من نِفَارٍ وعداءٍ وأحقادٍ وضغائنَ. فكان من نتائج ذلك أَنْ صار من يتصدَّر للدعوة منهم قوميًّا أكثر من القوميِّين، وصار ذلك عنده دينًا يتقرَّبُ به إلى الله تعالى، بعد أن كان معصيةً تنفرُ فطرته منها، ويستنكف أن يُنسب إليها.

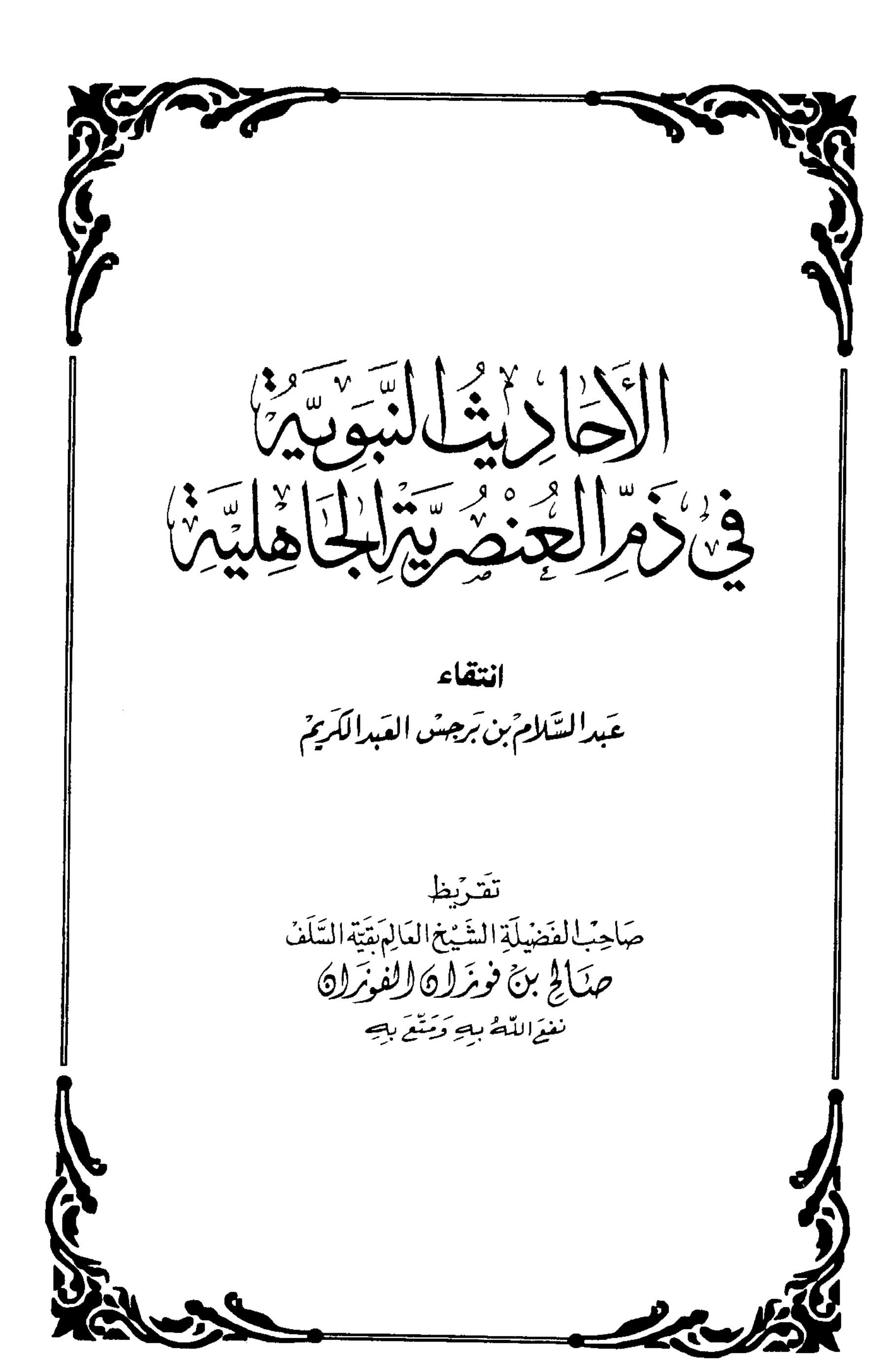
فإذا رأى من هدى الله قلبه ونوَّر بصيرته هذه الدعوات الحائرة العائرة؛ حمد الله تعالى على السلامة، وزاد إيمانًا بأنَّه لا يصحُّ إلا الصحيحُ وهو الاستقامة على منهاج الله تعالى الذي وعد الله تعالى أهله بالخيرِ كلِّه عاجله وآجله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا

ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤]. فأوصي نفسي وجميع من شرح الله صدره لدعوة التوحيد والسنة، وهداه ـ بفَضْله سبحانه ـ للطريقة السلفيَّة القويمة: أن يثبتوا على ذلك، ويتشبثوا به، ويعضُّوا عليه بالنواجذ، ولا يغترُّوا بالدعوات الزائفة الخدَّاعة؛ وإن كسب أصحابُها دنياهم بخسارة آخرتِهم، أو استطاعوا صرف وجوه النَّاس إليهم بانصرافهم عن هدي نبيِّهم، فإنَّ مآلها إلى ضياع، وسعيها في خسران، فالواجبُ الاشتغال بما ينفع من العلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله تعالى، والسعي لتصحيح عقائد الناس وعباداتهم، والصبر على جميع ما يكون في هذه السبيل من ابتلاءات ومصائب، وشدائد ومحنٍ، فلا تنال وَلايةُ الله، ولا يُضمن السلامة من الخُسران إلا بذلك: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، جعلني الله وإيَّاكم منهم، بمنِّه وكرمه. آمين! آمين! والحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه لكم:
عبدالحق بن ملا حقي التركماني
٢٠/٥/١٤٢٨هـ







# الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية

انتقاء

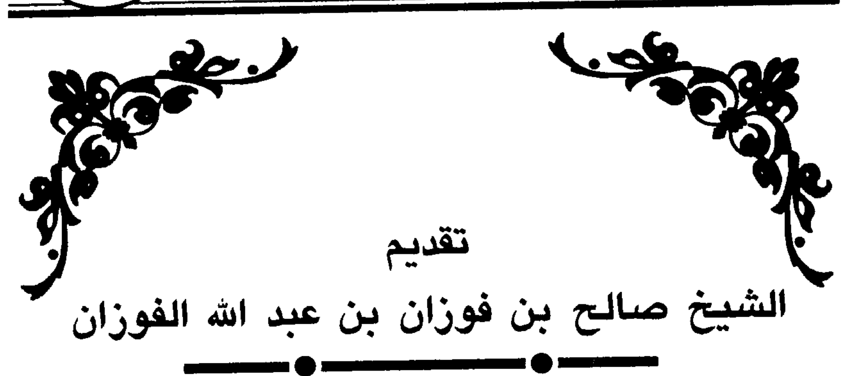
عبد السلام بن برجس العبد الكريم

تقريظ

صاحب الفضيلة الشيخ العالم بقية السلف

صالح بن فوزان الفوزان

نفع الله به ومتع به

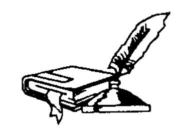


# تقديم
# الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:

فقد قرأت الرسالة المسماة: «**الأحاديث النبوية في ذم العنصرية الجاهلية**» انتقاء الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم، فوجدتها ـ والحمد لله ـ رسالة جيدة مفيدة في موضوعها مبنية على أدلة قوية من الكتاب والسنة في مسألة كان الناس فيها على طرفي نقيض، فأبان فيها صاحب هذه الرسالة وجه الحق على ضوء الكتاب والسنة وكلام أهل العلم ـ أثابه الله، ونفع بعلمه وبما يقدمه من كتابات وغيرها ـ. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه:
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان



# المقدمة

الحمدُ لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله.

**أما بعد:** لقد ابتلي كثيرٌ من أهل الإسلام في هذه الأزمان بخصلة مشينة، يَمتدُّ جَذْرها إلى زمن الجاهليِّين المشركين، وكانت حربُ هذه الخصلة مقصداً من مقاصد بعثة رسول الله ﷺ إلى العالم، تلك هي خصلة العصبية الجاهلية، التي هي قاعدة الخروج عن شرعِ الله وحُكْمِه، وأساس الفساد في دين الناس ودنياهم. بُعثَ رسول الله ﷺ، فأبطلَ هذه القاعدة الجاهليَّةَ بفعله الشريف وقوله المنيف، بل نزل القرآنُ الكريم بإبطالها وإحلال القاعدة الشريفة مكانَها:

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحجُّ: ٧٨].

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

وهذا هو المناسبُ لكون دين الله تعالى الإسلام عامّاً لجميع الثَّقلين: الجنِّ والإِنْسِ، كما أنه المناسبُ لدين باقٍ إلى قيام الساعة.

لقد كان أهل الجاهلية متفَرِّقين ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، لا يحكمهم دينٌ ولا عقلٌ سليمٌ، قويُّهم يأكل ضعيفَهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، تُفنيهم الحروبُ أجيالاً بعد أجيالٍ من أجل استغاثة رجلٍ بقبيلته ولو على باطلٍ، ونحو ذلك من تفاهات الأسباب، وحقيرات البواعث.

فجاء الإسلامُ ماحياً كلَّ هذه الظواهر المقيتة في حياتِهم، حيثُ ساوى بينهم في الحقوق، وجعل شعار عصبيَّتهم: «الإسلامُ»، وفاضَلَ بينهم بالتقوى وطاعةِ الله تعالى، فلا فضل لعربيٍّ على عجَمِيٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتَّقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]، ولا سبيلَ إلى انتشار الإسلام كما كانَ أَوَّلَ أمره إلَّا إذا ألغَى المسلمون جميعَ الشَّعارات إلا شعار الإسلام، فصارتْ موالاتُهم ومعاداتُهم على هذا الدِّين القويم، إذا أَحبُّوا: أَحبُّوا لله، وإذا أَبغضُوا: أبغضُوا لله، بذلك تُنالُ وَلايةُ الله عز وجل: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

إِنَّ معرفةَ الإنسان لقبيلته، وانتسابه لها، والمحافظة على الأَنساب لا يُذَمُّ في الشَّرع؛ بل جاء عنه ﷺ: «**تَعَلَّمُوا من أَنسابِكُم ما تَصِلُونَ به أرحامَكُم**»[(١)]؛ إِنَّما المذمومُ الافتخارُ بالقبائل، وذمُّ أنسابِ النَّاسِ، واحتقار من لم يُعرَف بقبيلةٍ؛ فتلك دعوى الجاهليةِ، تلك الدَّعوة المنتِنَةُ. وتذكيراً لنفسي ولإخواني المسلمين جمعتُ بعض الأحاديث والآثار في هذا الباب؛ إذ هي كفيلةٌ بنزعِ ما قد يعلق بالقلوب من عنصريةٍ بغيضةٍ، وعصبيةٍ جاهليةٍ، فوجب التسليم والقبول لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١-٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٥].

هذا وليُعلم أنَّني لا أريد بما كتبتُ هاهنا إبطالَ الأنساب، أو تمزيقَ القبائل، كلَّا؛ فإنَّ شرف القبيلة فضلُ الله يؤتيه من يشاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨]، بل نريد أن

(١) حديث صحيح، وهو (الحديث التاسع عشر) الآتي.

تكون القبليَّةُ ملتزمةً شرع الله، واقفةً عند حدوده؛ فلا تسلكُ مسلك الجاهلية في الافتخار والتعاظم بغير حقٍّ، بل تكون عَزوتها الإسلام، وفخرُها التقوى، وشعارها الذي تجتمع عليه: دينُ الله تعالى، فقد كان شعارُ المهاجرين في الحروب: «عبد الله»، وشعارُ الأنصار: «عبد الرحمٰن». رواه أبو داود في «السُّنن»(١).

وفيها - أيضاً - عن المهلَّب بن أبي صفرةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنْ بَيَّتَكُم العدُو، فلْيَكُنْ شَعارُكم: حم لا يُنْصَرونَ»**. حديثٌ صحيحٌ(٢).

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتب:

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

الرياض ٢٠/٢/١٤٢٠ هـ

---

(١) [برقم: (٢٥٩٥). وضعَّفه الألبانيُّ في «ضعيف سنن أبي داود»].

(٢) [«السنن» (٢٥٩٧)، وأخرجه أيضاً الترمذيُّ في «الجامع» (١٦٨٢)، وقال ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» [غافر: ١]: إسناده صحيح. وخرَّجه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٣٠٩٧). وقوله: «حم لا ينصرون» بصيغة المجهول، معناه بفضل السور المفتتحة بـ: (حم) ومنزلتها من الله لا ينصرون. قال الخطابي: معناه الخبر، ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوماً، أي: لا ينصروا، وإنما هو إخبار كأنه قال: والله إنهم لا ينصرون. وهذا اللفظ فيه التفاؤل بعدم انتصار الخصم مع حصول الغرض بالشعار، وهو العلامة في الحرب، يقال: نادوا بشعارهم أو جعلوا لأنفسهم شعاراً. والمراد أنهم جعلوا العلامة بينهم لمعرفة بعضهم بعضاً في ظلمة الليل هو التكلم عند أن يهجم عليه العدو بهذا اللفظ. يُراجع: «تحفة الأحوذي» للمباركفوري ٥/٢٦٩، و«نيل الأوطار» للشوكاني ٨/٦٦].

## الحديث الأول

عن أُبَيٍّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلاَ تَكْنُوهُ**».

رواه البخاريُّ في «الأدب المفرد»[(١)]، وأحمد في «المسند»[(٢)]، وفي لفظ له: «**كُنَّا نُؤْمَرُ إِذَا الرَّجُلُ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ: فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ، وَلاَ تَكْنُوا!**».

قوله «**من تعزَّى**» أي: انتسب وانتمى[(٣)].

وقوله: «**بعزاء الجاهلية**» أي: الدعوى للقبائل بأن يقول: يا لتميم، أو يا لعامرٍ، وأشباه ذلك[(٤)].

---

(١) (٤٢٧/٢) [برقم: (٩٦٣). وأورده الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (٧٤١)، وخرَّجه في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٩)].

(٢) (١٣٦/٥) [رقم: (٢١٢٣٣)].

(٣) قاله الكسائيُّ. «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣٠١/١)، وينظر «لسان العرب» (٥٣/١٥).

(٤) «غريب الحديث» لأبي عُبيد (٣٠١/١).

[وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: معنى قوله: «**من تعزَّى بعزاء الجاهلية**» يعني: يعتزي بعزواتهم، وهي الانتساب إليهم في الدعوة مثل =

وقوله: «**فأعضوه بهن أبيه**» العضُّ: الإمساك على الشيء بالأسنان(١). و«**الهَن**» ذَكَرُ الرجل. والمعنى: قولوا له: أعضض بأير أبيك، ولا تكنوا عن «**الأير**» بلفظ: «**الهن**»، تنكيلاً وتأديباً لمن دعا دعوى الجاهلية(٢). قال البغويُّ في «شرح السنَّة»(٣): قوله: «**بهن أبيه**» يعني ذكره. يريد يقول له: أعضض بأَيْر أبيك، يجاهره بمثل هذا اللفظ الشنيع ردّاً لما أَتى به من الانتماء إلى قبيلته والافتخار بهم. اهـ.

وقد فعل ذلك أبي بن كعب رضي الله عنه راوي الحديث،

---

= قوله: يا لقيس! يا ليمن! ويا لهلال! ويا لأسد! فمن تعصَّب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم؛ كانت فيه شعبةٌ من الجاهلية، حتى يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالى معتصمين بحبله وكتابه وسنة رسوله، فإن كتابَهم واحدٌ، ودينهم واحدٌ، ونبيهم واحد، وربَّهم إلهٌ واحد لا إله إلا هو، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥]. (مجموع الفتاوى: ٢٨/٤٢٢).

وقال أيضاً: وكلُّ ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآنِ: مِنْ نسبٍ، أو بلدٍ، أو جنس، أو مذهب، أو طريقةٍ؛ فهو من عزاء الجاهلية. (دقائق التفسير: ٢/٤٥)].

(١) «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/٤٨).

(٢) «لسان العرب» (٧/١٨٨).

(٣) «شرح السنة» (١٣/١٢٠).

فإنَّ سبب هذا الحديث أنه سمع رجلاً قال: يا لفلانٍ! فقال له أُبَيٌّ: اعضُضْ بهنِ أبيك! ولم يَكْنِ. فقال الرجلُ: يا أبا المنذر؛ ما كنتَ فحَّاشاً! فقال أُبَيٌّ: إنِّي لا أستطيعُ إلا ذلك عملاً بقول النبي ﷺ: **«مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ، وَلاَ تَكْنُوا»**[1].

وأمر بذلك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: «من اعتز بالقبائل فأعضوه أو فأَمصُّوه» رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»[2].

بل كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: «إذا تداعت القبائل فاضربوهم بالسيف حتى يصيروا إلى دعوة الإسلام». رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»[3] أيضاً.

ومعنى: «يصيروا إلى دعوة الإسلام» أي: عزاء الإسلام، أي يقول: يا للمسلمين. وقد جاء أثر عمر رضي الله عنه هذا عند أبي عبيد بلفظ: «سيكون للعرب دعوى قبائل، فإذا كان ذلك فالسيفَ السيفَ، والقَتْلَ القتلَ حتَّى يقولوا: يا للمسلمين»[4].

وفي لفظ نحوه لابن أبي شيبة ـ أيضاً ـ[5]: «يقولون: يا أهل الإسلام، يا أهل الإسلام».

---

(١) [سبب استشهاد أُبي بن كعبٍ رضي الله عنه بهذا الحديث؛ مذكور في رواياته بألفاظ متقاربة].

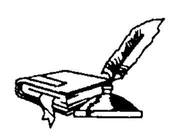
(٢) (١٥/٣٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) (١/٣٠١).

(٥) «المصنف» (١٥/٣٢).

وذكر أبو عبيد في «غريب الحديث»[١]: أن رجلاً قال بالبصرة: يا لعامرٍ! فجاء النابغة الجعديُّ بعَصَبَةٍ له، فأخذته شُرَطُ أبي موسى، فضربه أبو موسى خمسين سوطاً بإجابته دعوى الجاهلية. اهـ.



(١) (٣٠١/١).

## الحديث الثاني

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَاتَلَ تَحتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، أَوْ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ؛ فَقُتِلَ: فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**».

رواه النسائي في «السنن» كتاب تحريم الدم، باب: التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية[1].

وفي لفظ: «**وَمَنْ قُتِلَ تَحتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ فَلَيسَ مِنْ أُمَّتِي**».

أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإمارة[2].

قوله: «عُمية» الدعوة العمياء، فسرها الإمام أحمد ـ رحمه الله بقوله: الأمر الأَعمَى للعصبية لا يستبين ما وجهه. والعصبة: بنو العم، والعصبية أخذت من العصبة[3].

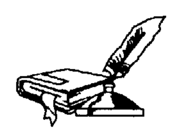
---

(١) رقم (٤١١٤). [وهذا اللفظ بنحوه عند مسلمٍ في «صحيحه» (١٨٤٨) (٥٣) أيضاً].

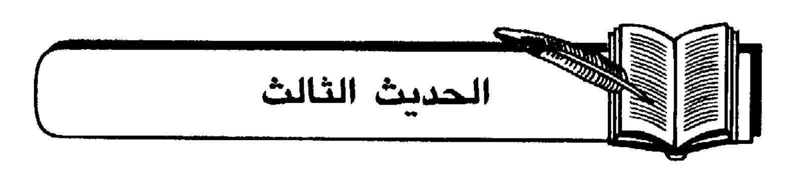
(٢) (١٤٧٧/٣) رقم (١٨٤٨) (٥٤).

(٣) ينظر «لسان العرب» (٩٧/١٥)، و«المفهم» للقاضي عياض (٢٥٨/٦).

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمَّه، والنهيَ عنه، وذلك يقتضي المنع من أمور الجاهلية مطلقاً[1]. اهـ.



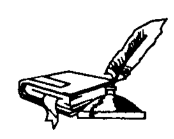
(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢١٩/١).



## الحديث الثالث

عن جُنْدَبِ بن عبد الله البجليِّ، قال: قال رسول الله ﷺ:
**«مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً: فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»**.

أخرجه مسلم في «صحيحه»[(١)].



(١) (١٤٧٨/٣) رقم ١٨٥٠).

# الحديث الرابع

عن أبي عُقبةَ ـ وكان مولًى من أهل فارسَ ـ قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ أُحُداً فضربتُ رجلاً من المشركينَ، فقلتُ: خُذْهَا مِنِّي وأَنا الغلامُ الفارسيُّ! فالتفتَ إِلَيَّ رسولُ الله ﷺ فقال: **«فَهَلَّا قُلْتَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الأَنْصَارِيُّ!»**.

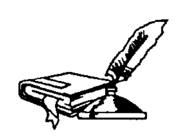
أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب: في العصبية[1].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: حضَّه رسولُ الله ﷺ على الانتساب إلى الأنصار وإن كان بالولاء، وكان إظهارُ هذا

---

(١) (٣٤٣/٥)، [رقم: (٥١٢٣). وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» ٥٠٥/١٢، وفي «المسند» (٥٤٥)، وأحمد في «المسند» ٢٩٥/٥ (٢٢٥١٥)، وابن ماجه (٢٧٨٤)، والدولابي في «الكنى» (٢٧٠) من طريق: محمد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عبد الرحمٰن بن أبي عُقبة، عن أبي عقبة، به. وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الرحمٰن بن أبي عقبة، لم يرو عنه إلا اثنان، ولم يذكره في «الثقات» غير ابن حبان، وقال: يروي المراسيل. لهذا قال الذهبيُّ في «الكاشف»: وُثِّق. وقال ابن حجر: مقبول. يعني: حيث يتابع. والحديثُ ضعَّفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٥٥٩)].

أحبَّ إليه من الانتساب إلى فارسَ بالصراحة، وهي نسبةُ حقٍّ ليست محرَّمةً. ويُشبِهُ ـ والله أعلم ـ أن يكون من حكمة ذلك أنَّ النفسَ تحامي عن الجهة التي تنتسب إليها، فإذا كان ذلك لله كان خيراً للمرء[1]. اهـ.



(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٢١٩).

## الحديث الخامس

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ: إِنَّهُ كانَ بَيْنِي وبين رَجُلٍ من إخواني كلامٌ، وكانت أُمُّهُ أَعجمِيَّةً، فعيَّرتُه بأُمِّه، فشكانِي إلى النبيِّ ﷺ، فلقيتُ النبيَّ ﷺ، فقال: **«يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**. قلتُ: يا رسول الله! من سبَّ الرِّجالَ سَبُّوا أَبَاهُ وأُمَّه. قال: **«يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»**.

أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية. وفي الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن(١). ومسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان، واللفظ له(٢).

قيلَ: إنَّ الرجلَ المذكور هو بلال المؤذِّن مولى أبي بكر، وتعييره له بأُمِّه حيث قال له: يا ابنَ السوداء!(٣).

---

(١) (٨٤/١ فتح) و(٤٦٥/١٠) [رقم: (٣٠) و(٦٠٥٠)].

(٢) (١٢٨٢/٣ رقم ١٦٦١).

(٣) ينظر «فتح الباري» (٨٦/١)، وقد روَى هاتين الزيادتين البيهقيُّ في «الشعب» (٢٨٨/٤).

قال الحافظُ: يُؤخذ منه المبالغةُ في ذم السبِّ واللَّعنِ لما فيه من احتقار المسلم، وقد جاء الشرعُ بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأنَّ التفاضل الحقيقي بينهم إنَّما هو بالتقوى، فلا يفيدُ الشريفَ النسبِ نسبُه إذا لم يكن من أهل التَّقوَى وينتفعُ الوضيعُ النَّسبِ بالتَّقوَى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَنكُمْ﴾(١). اهـ.



(١) «فتح الباري» (١٠/٤٦٨).

[وقال النوويُّ في «شرح مسلم»: قوله ﷺ: **«فيك جاهلية»** أي: هذا التعيير من أخلاق الجاهلية، ففيك خُلُقٌ من أخلاقهم، وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيءٌ من أخلاقهم، ففيه النهي عن التَّعيير، وتنقيص الآباء والأمهات، وأنه من أخلاق الجاهلية. قوله: من سبَّ الرجالَ سبوا أباه وأمه. معنى كلام أبي ذرٍّ الاعتذارُ عن سبِّه أُمَّ ذلك الإنسان، يعني: أنه سبَّني، ومن سب إنساناً سب ذلك الإنسان أبا السابِّ وأمه، فأنكر عليه النبي ﷺ، وقال: هذا من أخلاق الجاهلية. وإنَّما يباح للمسبوب أن يسب السابَّ نفسه بقدر ما سبَّه، ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه].

# الحديث السادس

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال له: «**انْظُرْ فَإِنَّكَ لَيسَ بِخَيرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى**».

أخرجه أحمد في «المسند»[1].

قال المنذري في «الترغيب والترهيب»[2]: رواته ثقات مشهورون إلا أن بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من أبي ذَرٍّ.

---

(١) (١٥٨/٥)، [رقم: (٢١٤٠٧) من طريق: أبي هلال، عن بكرٍ، عن أبي ذرٍّ].

(٢) (٥٧٤/٣). [ونقله الألباني في «غاية المرام» (٣٠٨)، وقال: فهو منقطعٌ، وأبو هلال اسمه: محمد بن سليم الراسبي وهو صدوق فيه لين، فالسند ضعيف، لكن يشهد له ويقوِّيه حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، فلا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا أحمرَ على أسودَ؛ إلا بالتَّقْوَى**» رواه الطبرانيُّ في «الأوسط» [٤٧٤٩]، والبزارُ [كشف الأستار: ٢٠٤٤] بنحوه، إلا أنه قال: «**إنَّ أباكم واحدٌ، وإنَّ دينكم واحدٌ، أبوكم آدمُ، وآدمُ خُلِقَ من ترابٍ**» قال الهيثميُّ ٨٤/٨: ورجالُ البزَّار رجال الصحيحِ. وله شاهد آخرُ في «مسند الإمام أحمد» ٤١١/٥ بإسنادٍ صحيح نحوه. قلتُ: يعني الحديث التاسع الآتي بعد هذا. لهذا حسَّنه أيضاً في «صحيح الترغيب والترغيب» (٢٩٦٢)].

## الحديث السابع

عن أَبي نَضْرةَ المنذر بن مالك بن قُطَعَةَ، قال: حدَّثني من سمع خُطبةَ رسولِ الله ﷺ في وَسَطِ أَيّام التشريق، فقال: «**يا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ؛ إِلاَّ بِالتَّقْوَى. أَبَلَّغْتُ؟**» قالوا: بَلَّغَ رسولُ الله ﷺ.

أخرجه الإمام أحمد في «المسند»[1]. قال الهيثمي في «المجمع»[2]: رجاله رجال الصحيح.

وقال شيخ الإسلام: إسناده صحيح[3]، وقد رواه البيهقي في «الشُّعَب»[4] عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، لكن قال بعده البيهقيُّ: وهذا في الإسناد بعض من يجهل.

---

(١) «الفتح الرباني» (٢/٢٢٦)، [«المسند» (٥/٤١١) رقم: (٢٣٤٨٩)، وأخرجه عبد الله بن المبارك في «المسند» (٢٣٩)].

(٢) (٣/٢٦٦).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٦٨).

(٤) (٤/٢٨٩).

فإذا كان الربُّ واحداً، والأبُ للجميع واحداً؛ لم يبقَ لدعوى الفضل بغير تقوى الله عز وجل أيُّ اعتبار. وفي هذا الحديث: حصر الفضل في التقوى، ونفيه عن غيرها(١).

**أثر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:**

عن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال: لا أَرَى أَحداً يعملُ بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ فيقول الرجلُ للرَّجل: أنا أكرمُ منك! فليسَ أحدٌ أكرمَ مِنْ أحدٍ إلَّا بتقوى الله.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»(٢).

ومعنى الآية: أنَّ الله تعالى خلق بني آدم من أصلٍ واحدٍ، فكلُّهم يرجعون إلى آدم ـ عليه السلام ـ وحواء، وقد جعلهم الله عزَّ وجلَّ «شعوباً» وهو النسب البعيد للقوم، مثل عدنان سُمِّيَ شعباً وشعوباً، لأن القبائل تتشعب منه «قبائل» وهي النسب القريب(٣). قال ابن عباس: الشعوبُ: القبائلُ العظام، والقبائل: البطون(٤).

---

(١) ينظر كلام الشوكاني في شرح هذا الحديث في «الفتح الرباني» للساعاتي (٢٢٦/١٢). [وهو في «نيل الأوطار» ١٦٤/٥].

(٢) (٣٤٢/٢-٣٤٣، رقم ٨٩٨). [وأورده الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (٦٨٩)، وقال: صحيح الإسناد].

(٣) ينظر «صحيح البخاري» أول كتاب المناقب (٥٢٥/٦).

(٤) «صحيح البخاري» أول كتاب المناقب (٥٢٥/٦)، وينظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥٧٨/٧).

ثم بيَّنَ تعالى الحكمةَ من ذلك وهي: أن يتعارف الناسُ حتى لا يَعْتَزِيَ أحدٌ إلى غير آبائه، ولا ينتسب إلى سوى أجداده، وعلى ذلك تترتَّبُ أحكام الورثة، فيَحجبُ بعضهم بعضاً، وأحكام الأولياء في النِّكاح فيقدَّم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف إذا خصَّ الواقفُ بعض الأقارب أو بعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في الدِّية على بعض العصبة دون بعض، وما يجرى مجرى ذلك، فلولا معرفة الأنساب لفاتَ إدراك هذه الأمور وتعذَّر الوصول إليها. اهـ. من: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»[١].

فهذه بعض فوائد معرفة الأنساب، وليس فيها أنَّ التفاخر بها، وتقويم القبائل على ضوئها من التعارف الذي يحبُّه الله، بل هو من العصبية التي يبغضها الله سبحانه، ولهذا جعل تعالى معيار الفضل في التقوى بعد أمره بالتعارف، فالتعارف شيءٌ، والتفاخرُ شيءٌ آخر، والفرق بينهما: أنَّ الأولَ محبوبٌ إلى الله، والآخرَ ممقوتٌ عنده.

وتأمَّل فقه الإمام البخاريِّ ـ رحمه الله تعالَى ـ في ذلك، فإنه لما عقَدَ «كتاب المناقب» في «صحيحه»[٢] بدَأَه فقال: باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: ١]. وما يُنهَى عن دَعوَى الجاهلية.

---

(١) لأحمد بن عبد الله القلقشندي، والمشهور بابن أبي غُدَّة (ص ١٣١٤).
(٢) (٦/٥٢٥ فتح).

قال الحافظ في «الفتح»[1]: يُشير إلى ما تضمَّنته هذه الآية من أن المناقب عند الله إنما هي بالتقوى؛ بأن يُعمل بطاعته، ويُكفَّ عن معصيته.

ثم بدأَ البخاريُّ بذكر المناقب لقريش وغيرها من القبائل سائقاً الأدلةَ على أنَّ فضل هذه القبائل في تزكية رسول الله ﷺ لها، ومدحِه ﷺ للصالح منها، لا أنَّ فضلَها مكتسَبٌ بالشعارات أو المعايير الجاهلية.

وهكذا تجدُ أهلَ العلم عامَّةً يَعقِدون في مؤلَّفاتهم الكبار كتاباً للفضائل يشمل فضائل الأشخاص والقبائل والأمكنة والأزمنة، كما هو صنيع أصحاب الأمهات الستِّ: البخاريِّ، ومسلمٍ، وأبي داود، والترمذيِّ، والنسائيِّ، وابن ماجه. وغيرهم كثير.

ومن العلماء من يؤلِّفُ في ذلك مؤلَّفات مستقلة، وكل ذلك لا يَمتُّ بصلة إلى العصبية الجاهلية، ولا متعلَّقَ فيه لأحدٍ ممن ابتلوا بها، بل هو من دين الإسلام، كما سيأتي شرحه عندَ حديث: **«النَّاسُ معادنُ كمعادن الذَّهب والفضة»**، وتحت عنوان: قاعدة في باب الفضائل.



---

(١) (٦/٢٥٢).

## الحديث الثامن

عن الحارثِ الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «... **وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ**» قالوا: يا رسولَ الله، وإن صام وصلَّى؟! قال: «**وَإِنْ صَامَ وصَلَّى؛ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ. فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ، بِمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ الله عَزَّ وَجَلَّ**».

أخرجه أحمد في «المسند»[1].

وأخرج ابنُ أبي شيبة في «المصنَّف»[2] عن أبي صالحٍ أنه قال: «من قال: يا آلَ فلانٍ! فإنَّما يدعوا إلى جُثاء جهنَّم».

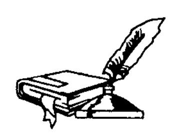
---

(١) (٤/١٣٠ و٢٠٢) [رقم: (١٧١٧٠) و(١٧٨٠٠). وأخرجه الترمذيُّ في «الجامع» (٢٨٦٣)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٤٨٣) و(٩٣٠) و(١٨٩٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٢٣٣)، والحاكم في «المستدرك» ١١٧/١. وقال الترمذيُّ: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الحاكمُ وابنُ القيِّم في «إعلام الموقعين» ٤٠٥/٢، وقال ابن كثير في «تفسيره» [البقرة: ١٢]: هذا حديث حسنٌ. وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح موارد الظمآن» (١٠٢٦). والجثا: جمعُ: جُثوة بالضم، وهو الشيء المجموع. «النهاية» لابن الأثير (جثا)].

(٢) (١٥/٣٣).

وأخرج ابنُ أبي شيبة في «المصنَّف»[١] عن عبد الله بن يزيد الأنصاريِّ، قال: «تسمَّوا بأَسمائكم التي سماكم الله بها: بالحنيفية، والإسلام، والإيمان».

قلتُ: سَمَّانا الله عزَّ وجلَّ بالمسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن العزيز، قال الله عز وجلَّ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج: ٧٨]. قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ أي: الله تعالى هو الذي سماكم بهذا الاسم[٢] ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: في الكتب المتقدِّمة كالتوراة والإنجيل والزبور. ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: في القرآن الكريم قد سَمَّاكم أيضاً بالمسلمين.



(١) ينظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/٨١).

(٢) ينظر: «أضواء البيان» (٥/٧٥٠)، وابن كثير (٥/٤٥٦) ط. دار طيبة.

## الحديث التاسع

عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**».

أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الجنائز[1].

معنى الحديث: أنَّ هذه الأربع محرَّمةٌ، ومع حُرمتها فإنَّ أكثر هذه الأمة لا يتركونَها مع علمهم بحُرْمَتها وأنَّها من أفعال أهل الجاهلية، وذلك وباءٌ وخيمٌ، وحَوْبٌ كبيرٌ.

قال المُنَاويُّ في «فيض القدير»[2]: «**الفخرُ في الأحساب**» أي: الشَّرفُ بالآباء، والتعاظمُ بِعَدِّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهلٌ، فلا فخرَ إلا بالطاعة، ولا عِزَّ لأحدٍ إلا بالله. والأحسابُ جمع حسَبٍ، وهو ما يعدُّه المرء من الخصال له، أو لآبائه من نحو شجاعة وفصاحة.

«**الطعن في الأنساب**» أي: الوقوع فيها بنحو ذمٍّ وعيبٍ.

---

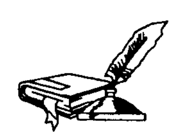
(١) (٢/٦٤٤، رقم: ٩٣٤).

(٢) (١/٤٦٢).

«**الاستسقاءُ بالنجوم**»: اعتقادُ أنَّ نزول المطر بظهور هذا النَّجم أو ذاك.

«**النِّياحة**»: رفع الصوت بالنَّدْب على الميت. اهـ مختصراً.

وقد أخرج البخاريُّ في «صحيحه»[1] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خِلاَلٌ مِنْ خِلاَلِ الْجَاهِلِيَّةِ: الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ. وَنَسِيَ الثَّالِثَةَ، قَالَ سُفْيَانُ[2]: وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا الاِسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ.



(١) كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية (١٥٦/٧ فتح) [رقم: (٣٨٥٠)].

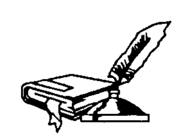
(٢) [هو سفيان بن عُيينة، راوي هذا الأثر عن عبيد الله بن أبي يزيد المكيِّ، عن ابن عباس. قال ابن حجر: وقع في رواية ابن أبي عمر عن سفيان: ونسي عُبيد الله الثالثة. فعيَّنَ الناسيَ، أخرجه الإسماعيليُّ].

## الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»**.

أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان[1].

معناه كما قال القاضي عِيَاض: أي: من أعمال أهل الكفر وعادتهم وأخلاق الجاهلية، وهما خصلتان مذمومتان مُحرَّمتان في الشَّرع[2]. اهـ.



---

(١) (٨٢/١ رقم: ٦٧).

(٢) «المفهم شرح صحيح مسلم» (٣٢٦/١).

# الحديث الحادي عشر

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غَزَونا مع النبيِّ ﷺ وقد ثابَ معه ناسٌ من المهاجرين حتَّى كَثُرُوا، وكان من المهاجرين رجلٌ لَعَّابٌ فكَسَعَ أنصاريّاً، فغضبَ الأنصاريُّ غضباً شديداً، حتَّى تداعَوَا، وقال الأنصاريُّ: يا للأنصارِ! وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين! فخرج النبيُّ ﷺ فقال: «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟**» ثم قال: «**مَا شَأْنُهُمْ؟**» فأُخْبِرَ بكَسْعةِ المهاجريِّ الأنصاريَّ، فقال النبيُّ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**»[(1)].

أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب المناقب، باب: ما يُنْهَى مِنْ دعوى الجاهلية[(2)]. ومسلم في «صحيحه» كتاب البرِّ

---

(١) [قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» ٦٤٩/٨: قوله: «دعوها فإنها منتنة» أي: دعوة الجاهلية، وأبعدَ من قال: المرادُ الكسعة. ومُنتنة ـ بضم الميم وسكون النون وكسر المثناة ـ: من النتن، أي أنها كلمةٌ قبيحةٌ خبيثةٌ، وكذا ثبتت في بعض الروايات].

(٢) (٥٤٦/٦ فتح) [رقم: (٣٥١٨). وفي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨] رقم: (٤٩٠٥) و(٤٩٠٧)].

والصِّلة[1].

هذا أبلغُ حديثٍ في ذَمِّ العصبية الجاهلية؛ إذ الانتسابُ إلى الأنصار أو المهاجرين مما يمدح شرعاً، لكن لمَّا خرج هذا الانتساب عن دائرة التعبُّد والاعتزاز بالانتساب لدين الله تعالى ذُمَّ ومُقِتَ، وأصبحَ جاهليةً مرفوضة، فكيف إذا كان الانتسابُ إلى ما قد يباح ـ كالانتساب إلى قبيلة ـ على وجه يُشبه انتسابَ أهل

---

(١) (١٩٩٨/٤، رقم: ٢٥٨٤).

[وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الاقتضاء» ٢٤٠/١ هذا الحديث بهذا اللفظ، وبلفظه الآخر عند مسلم (٢٥٨٤) (٦٢)، وفيه: اقتتل غلامان: غلامٌ من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجرُ أو المهاجرون: يا للمهاجرين! ونادى الأنصاريُّ: يا للأنصار! فخرج رسولُ الله ﷺ فقال: **«ما هذا؟ دعوَى أهل الجاهلية!»** قالوا: لا يا رسولَ الله إلا أنَّ غلامين اقتتلا فكسع أحدُهما الآخرَ. قال: **«فلا بأسَ ولينصر الرَّجلُ أخاه ظالماً أو مظلوماً؛ إن كان ظالماً فلْيَنْهَهُ، فإنَّه له نَصْرٌ وإنْ كان مظلوماً فلينصره»** ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذان الاسمان: «المهاجرون والأنصار» اسمان شرعيَّان، جاء بهما الكتابُ والسنةُ، وسَمَّاهما الله بهما، كما سمَّانا: المسلمين من قبلُ وفي هذا. وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار انتسابٌ حسن محمود؛ عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريفُ فقط؛ كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرَّم؛ كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بدعةٍ أو معصية أخرى. ثم ـ مع هذا ـ لما دعا كلُّ واحدٍ منهما طائفةً منتصراً بها؛ أنكر النبيُّ ﷺ ذلك، وسَمَّاها: دعوى الجاهلية، حتى قيل له: إنَّ الداعيَ بها إنَّما هما غلامان، لم يصدر ذلك من الجماعة، فأمر بمنع الظَّالم، وإعانة المظلوم ليُبيِّن النبيُّ ﷺ: أنَّ المحذورَ إنَّما هو تعصُّب الرجل لطائفته مُطلقاً؛ فِعْل أهل الجاهلية، فأما نصرُها بالحقِّ من غير عدوانٍ: فحسنٌ واجبٌ، أو مستحبٌ].

الجاهلية؟ لا ريبَ أنَّه أكثر ذمّاً، وأشدُّ مقتاً.

قوله «رجل لعَّاب» أي بطَّال، وهو: جهجاه بن قيس الغفاريُّ.

قوله: «فكسع» أي: ضربَهُ على دُبُرِه.



## الحديث الثاني عشرَ

عن عُقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«إنَّ أنسابَكُمْ هَذِهِ لَيسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، وَإنَّمَا أَنتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعُ لَمْ تَمْلَؤُوهُ، لَيسَ لِأَحَدٍ فَضلٌ على أَحَدٍ إلاَّ بالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشاً بَذِيّاً بَخِيلاً جَبَاناً»**.

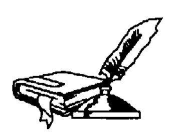
رواه أحمد في «المسند»[1].

---

(١) (٤/١٤٥ و١٥٨)، [قلتُ: أخرجه أحمد (١٧٣١٣) عن قتيبة بن سعيد، وهو (١٧٤٤٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٧٧) عن يحيى بن إسحاق، والطبريُّ في «التفسير» [الحجرات: ١٣]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٤٥٩) من طريق: عبد الله بن وهبٍ، وهو في «جامعه» (٤١)، والطبرانيُّ في «المعجم الكبير» ١/(٨١٤) من طريق سعيد بن أبي مريم، أربعَتُهم: عن عبد الله بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عليِّ بن رباح، عن عُقبةَ بن عامرٍ، به.

وهذا إسنادٌ جيِّدٌ، رجاله ثقات، ورواية: ابن وهب وقتيبة عن ابن لهيعة صالحة. وقال الألباني في «الصحيحة» (١٠٣٨): هذا سند صحيح على شرط مسلم إلا ابن لهيعة، وهو صحيح الحديث إذا روى عنه أحد العبادلة، وهذا من رواية عبد الله بن وهب عنه فهو صحيح، وبيان ذلك في ترجمته من «التهذيب». ولفظ ابن جرير في إحدى روايتيه: «النَّاسُ لآدم وحواء، كطفِّ الصاع لم يَملؤوه، إنَّ الله لا يسألكم عن أحسابكم، ولا عن أنسابكم يوم القيامة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾». =

قوله: «طف الصاع» أي: قريب بعضكم من بعض.



= وقال السِّنْديُّ في «حاشية المسند» ٢٨/٥٤٩: قوله: «طف الصاع» هو ما قرُبَ من ملئِه. أي: قريبٌ بعضكم من بعض، وكلكم في الانتساب إلى أبٍ واحدٍ بمنزلةٍ واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام، وشبَّههم في نقصانهم بالمكيلِ الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، وهو بالرفع خبرٌ بعد خبرٍ، وقيل: بدلٌ أو خبرٌ محذوفٌ، أو بالنَّصب حال مؤكدة].

## الحديث الثالثَ عشرَ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
**«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ؛ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»**.

أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب[1].

والترمذي في آخر «سننه»[2]، وصححه شيخ الإسلام في «الاقتضاء»[3].

قوله: «عبية الجاهلية»: نخوتها.

والعُبية: الكبر والفخر والنخوة[4].

---

(١) (٥/٣٣٩-٣٤٠). [رقم: (٥١١٦)].

(٢) (٥/٧٣٤، ٧٣٥). [رقم: (٣٩٥٥)].

(٣) (١/٢٢٠).

(٤) ينظر: «تاج العروس» (٣/٣٠٣).

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

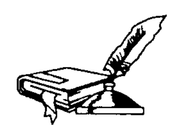
= [وقال الخطَّابيُّ في «معالم السنن» ١٣٧/٢: العبية: الكبر والنخوة، وأصله من العبء، وهو الثقل. يقال: عُبية وعِبية، بضم العين وكسرها. وقوله: «مؤمن تقي، وفاجر شقي» معناه: أنَّ النَّاسَ رجلان: مؤمن تقيٌّ، وهو الخيِّرُ الفاضل؛ وإن لم يكن حسيباً في قومه. وفاجر شقيٌّ، فهو الدنيءُ؛ وإن كان في أهله شريفاً رفيعاً].

## الحديث الرابعَ عشرَ

عن جُبَيْرِ بنِ مطعمٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: **«لَيسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ عَصَبِيَّةٍ، وَلَيسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»**.

أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأدب، باب في العصبية[1].

إسناده ضعيف، ويشهدُ له حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح مسلم».



(١) (٣٨٩/٥)، [برقم: (٥١٢١). وقال الألباني في «غاية المرام» (٣٠٤): ضعيف الإسناد، غير أنَّ الحديثَ صحيحُ المعنى، فقد أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة.. وذكر (الحديث الثاني) المتقدِّم، وهو الذي أشار إليه المؤلِّفُ، رحم الله الجميعَ].

## الحديث الخامسَ عشرَ

عن ابنِ عُمرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، خطَبَ النَّاسَ يومَ فتحِ مكَّةَ، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللَّهُ تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾».

أخرجه الترمذيُّ في «سُنَنه»: كتاب تفسير القرآن[1]. وقال: غريب. اهـ

**قلت:** تقدَّم معناه في الحديث الثالثَ عشرَ.

**أثرٌ آخرُ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:**

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: ما تَعُدُّون

(١) (٥/٣٨٩) [برقم: (٣/٣٢٧٥)].

الكَرَمَ؟ قد بَيَّنَ اللَّهُ الكرمَ: فأكرَمُكُم عند الله أتقاكُم. ما تعدُّون الحسَبَ؟ أفضلُكُم حَسَباً أحسنُكُم خُلُقاً.

أخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد»[1].



(١) (٣٤٣/٢) رقم: (٨٩٩). [وقال الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (٦٩٠): صحيح الإسناد].

## الحديث السادسَ عشرَ

عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ في قُبَّةٍ من أَدَم، فقال: «**مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ: فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ**».

أخرجه أبو داود في «سُنَنه» كتاب الأدب، باب في العصبية[1]. وإسنادُه صحيحٌ.

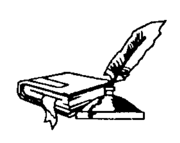
قوله: «**رُدِّيَ**» تردَّى وسقط في البئر «**فهو**» أي: البعير. «**يُنْزَع**»: يعالَجُ ويحاول أن يخرج عنها.

والمعنى: أنَّ من نصر قومه على غير الحقِّ فقد أوقع نفسه في الهلَكَة بتلك النُّصرة الباطلة، حيث أراد الرِّفعةَ بنصرة قومه، فوقع في حضيضِ بِئْرِ الإِثْم، وهلك كالبعير، فلا تنفَعُه تلك النُّصرة؛ كما لا ينفع البعيرَ نَزْعُه عن البِئْرِ بذَنَبِه.

---

(١) (٥/٤٣١)، [برقم: (٥١١٧). وأخرجه أحمد في «المسند» ١/٣٩٣ (٣٧٢٦) و١/٤٠١ (٣٨٠١). وقال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» ١/٩٦: حديثٌ حسنٌ. وصحَّحه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٨٣)].

وقيل: شبَّه النبيُّ ﷺ، القومَ ببعيرٍ هالكٍ، لأنَّ من كان على غير حقٍّ فهو هالكٌ، وشبَّه ناصرَهم بذَنَبِ هذا البعير، فكما أنَّ نزعَه بذَنَبِه لا يُخلِّصُه من الهلكة؛ كذلك هذا النَّاصر لا يخلِّصُهم عن بئر الهلاك التي وقعوا فيها. اهـ. من «مرقاة المفاتيح» للقاري[1].



---

(١) (٨/٦٤٣).

## الحديث السابعَ عشرَ

عن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «.. **وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**».

أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» كتاب الذِّكْر(١).

قوله: «من بطَّأَ به عملُه» أي من أخَّره عملُه، وجعله بطيئاً عن بلوغ درجة السَّعادة، لكون عَمَلِه سيِّئاً، أو كونه فرَّطَ في العمل الصالح. «لم يُسرعْ به نسبُه» أي: لم يقدِّمه نسبُه، إذ لا يحصلُ التقرُّب إلى الله تعالى بالنَّسب؛ بل بالأعمال الصَّالحة(٢).

ولهذا لَمَّا أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]؛ قام رسولُ الله ﷺ فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!** ـ أو كلمةً نحوَها ـ **اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ! لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً.**

---

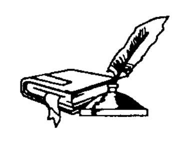
(١) (٢٠٧٤/٤، رقم: ٢٦٩٩).

(٢) ينظر: «مرقاة المفاتيح» للقاري (٤٥٧/١، ٤٥٨).

**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»**.

أخرجه البخاريُّ في «الصحيح»[١].

فبَيَّن النبيُّ ﷺ أنَّه لا يُنجي من عذاب الله تعالَى إلاَّ الإيمانُ والعملُ الصالح.



(١) [برقم: (٢٥٧٣) و(٣٥٢٧) و(٤٧٧١)].

## الحديث الثامنَ عشرَ

عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ خطَبَ في حَجَّة الوداع يومَ عرفةَ؛ فقال: «..**أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ**».

أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» كتاب الحجِّ[١].

قال شيخ الإسلام في «الاقتضاء»[٢]: وهذا يدخلُ فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات، مثل دعواهم يا لفلانٍ، ويا لفلانٍ! ومثل أعيادهم، وغير ذلك من أمورهم. اهـ.



(١) (٢/٨٨٦ رقم: ١٢١٨).
(٢) (١/٣٠٥).

## الحديث التاسعَ عشرَ

عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ: مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ»**.

أخرجه الإمام أحمد في «المسند»[1]، والترمذيُّ في «سننه» كتاب البِرِّ والصِّلة، باب: ما جاء في تعلُّم النَّسَب[2].

قال الترمذيُّ: غريب من هذا الوجه، ومعنى قوله: «منسأةٌ في الأَثَر» يعني زيادة في العمر. اهـ.

قلت إسنادُه جيِّدٌ، وقد صحَّحه الحاكم وأقرَّه الذهبيُّ[3].

وأخرج الطيالسي في «مسنده»[4] عن ابن عبَّاس رضي الله

---

(١) (٣٧٤/٢). [رقم: (٨٨٦٨)].

(٢) (٣٥١/٤). [رقم: (١٩٧٩)].

(٣) «المستدرك» (١٦١/٤) وينظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني رقم: (٢٧٦).

(٤) (٢٧٥٧).

عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اعرِفُوا أَنسابَكُم، تَصِلُوا أَرحَامَكُمْ»**.

صحَّحه الحاكمُ وأقرَّه الذهبي[١]، وأخرجه البخاريُّ في «الأدب المفرد»[٢] موقوفاً على ابن عبَّاسٍ، بلفظ: احْفَظُوا أَنسابَكم، تصلُوا أرحامَكم.

وأخرج البخاريُّ في «الأدب المفرد»[٣] ـ أيضاً ـ عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّه قال على المنبر: تعلَّمُوا أنسابَكم ثُمَّ صِلُوا أرحامَكم.

دلَّت الأحاديثُ والآثارُ هذه على أنَّ تعلم الأنساب محمودٌ إذا كان تعلُّمها للقيام بطاعة الله المتعلقة بها، من صلة رحم وقسمة ميراث، وتحمل عاقلة، ونحو ذلك.

أما إن كان تعلُّمها لقَصْدِ الفَخْرِ والخيلاء ونحو ذلك مِمَّا كان عليه أهل الجاهلية، فذلك مذمومٌ مرفوضٌ، ولهذا نرى أنَّ التعليلَ الواردَ هاهنا: كون التَّعلم للأنساب عوناً على صلةِ الأرحام، والإحسانِ إلى الأقارب.

وقد علَّق الشارع بالأنساب أحكاماً كثيرة، ولهذا قال ابنُ

---

(١) «المستدرك» (٤/١٦١). وينظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (٢٧٧).

(٢) (١/١٥٦ «الشرح»).

(٣) (١/١٥٤). [وقال الألبانيُّ في «صحيح الأدب المفرد» (٥٣): حسن الإسناد].

حزم في كتاب «النسب»[1] له: «إنَّ في علم النَّسب ما هو فرض على كلِّ أحدٍ، وما هو فرضٌ على الكفاية، وما هو مستحبٌّ. قال: فمن ذلك أنْ يعلم أنَّ محمداً رسولَ الله ﷺ هو ابنُ عبد الله الهاشميُّ، وأنْ يعلم أن الخليفة من قريش، وأن يعرفَ مَن يلقاه بنسبٍ في رحم مُحَرَّمة؛ ليجتنب تزويج ما يَحرُم عليه منهم، وأن يعرفَ من يتَّصل به مِمَّن يرثه أو يجب عليه بِرُّه من صلةٍ أو نفقةٍ أو معاونةٍ، وأن يعرف أُمَّهات المؤمنين، وأنَّ نكاحهنَّ حرامٌ على المؤمنين، وأن يعرف الصحابةَ وأنَّ حُبَّهم مطلوبٌ، وأن يعرف الأنصارَ ليُحسنَ إليهم؛ لثبوت الوصية بذلك، لأنَّ حبَّهم إيمانٌ، وبغضهم نفاقٌ». اهـ.

وكذا معرفةُ آل بيت النبيِّ ﷺ المؤمنينَ منهم، والمستقيمين على الحقِّ؛ ليقام بحقِّهم إنفاذاً لوصيَّة رسول الله ﷺ بهم، ولئَلاَّ يُعطَوا من الزَّكاة.



(١) نقله عنه الحافظُ في «الفتح» كتاب المناقب (٦/٥٢٧).
[قلتُ: وكلام أبي محمد ابن حزم رحمه الله ضمن بحثٍ قيِّمٍ في صدر كتابه: «جمهرة أنساب العرب» (ص: ١-٦)].

## الحديث المتمِّمُ للعشرين

عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كُفرٌ باللَّهِ تَبَرُّؤٌ مِن نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ، أَوْ ادِّعَاءُ إِلَى نَسَبٍ لاَ يُعْرَفُ**».

أخرجه أحمد في «المسند»[1]، وابن ماجه في «سننه» كتاب الفرائض باب: من أنكر ولده[2].

ولفظ ابن ماجه: «**كُفْرٌ بِامْرِئٍ ادِّعَاءُ نَسَبٍ لاَ يَعْرِفُهُ، أَوْ جَحْدُهُ؛ وَإِنْ دَقَّ**».

قال في «الزَّوائد»: إسنادُه صحيح. وحسَّنه السيوطيُّ، والألبانيُّ في «صحيح الجامع»[3].

قوله: «كُفرٌ» أي: ليس بالله العظيم، وليس كفراً ينقل عن الملة، وفي تسميته كفراً دليل على أنَّه من الكبائر. والمعنى: لا يحل للمرء المسلم أن يتبرَّأ من نسبه ولو كان هذا النسب حقيراً، ومثله من ادعى نسباً لا يعرف أي لا يتَّصل به فمن فعل ذلك فقد

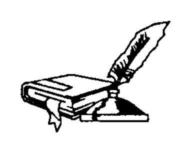
(١) (٢/٢١٥)، [رقم: (٧٠١٩)].
(٢) (٢/٩١٦)، [رقم: (٢٧٤٤)].
(٣) (٢/٨٢٧)، [رقم: (٤٤٨٦)].

كفر بنعمة الله عزَّ وجلَّ عليه، واعترض على قضاء الله وحكمته، بل كذب على الله عز وجل كأنه يقول: خلقني الله من ماءِ فلانٍ ولم يخلقني من ماء فلان! والواقع خلافُه[(١)].

وقد تتابعت الأحاديثُ في «الصحيحين» وغيرهما في إلحاق الوعيد الشديد بمن ادَّعى إلى غير أبيه، ففي بعض الأحاديث: لعنُه، وفي بعضها: تحريمُ الجنَّة عليه.

ففي «الصحيح»[(٢)] عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**لَيسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُهُ؛ إلاَّ كَفَرَ. وَمَنْ ادَّعَى قَوْماً لَيسَ لَهُ فِيهِمْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

قال النَّوويُّ رحمه الله تعالى: في هذا الحديث تحريمُ دَعْوَى ما ليس له في كلِّ شيءٍ؛ سواء تَعَلَّق به حقٌّ لغَيْرِهِ، أَمْ لا[(٣)].



(١) ينظر «الفتح الرباني» للبنَّا (٤٢/١٧).
(٢) البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١).
(٣) «شرح مسلم» (٥٠/٢).

## الحديث الحادي والعشرون

عن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسولَ الله! مَن أَكرمُ النَّاسِ؟ قال: «**أَتْقَاهُمْ**». قالوا: ليسَ عن هذا نسألكَ! قال: «**فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**». قالوا: ليسَ عن هذا نسألكَ! قالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِذَا فَقُهُوا**».

أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب المناقب[١]، ومسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل[٢].

قال العلماء[٣] لما سُئل: أيُّ الناس أكرم؛ أخبر بأكمل الكرم وأعمِّه. فقال: «**أتقاهم**» لله، وأصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متَّقياً كان كثيرَ الخير، وكثيرَ الفائدة في الدُّنيا، وصاحبَ الدَّرجات العُلا في الآخرة. فلما قالوا ليس عن هذا نسألك. قال: «**يوسف**» الذي جمع خيرات الآخرة والدنيا وشرفهما. فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك، فهم النبيُّ ﷺ، عنهم أنَّ مرادَهم قبائلُ

(١) (٦/٥٢٥ فتح) [رقم: (٣٤٩٠)].
(٢) (٤/١٨٤٦) رقم (٢٣٧٨).
(٣) نقلاً عن النووي في «شرح مسلم» (١٥/١٣٥).

العرب، فقال: «**خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا**». ومعناه: أنَّ أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا؛ فهم خيارُ الناس.

قال القاضي عِيَاض: وقد تضمَّن الحديثُ في الأجوبة الثلاثة أنَّ الكرم كلَّه عمومَه وخصوصَه، ومجملَه ومعيَّنه؛ إنَّما هو التقوى والنبوة، والإعراق فيها، والإسلام مع الفقه، فإذا تمَّ ذلك أو ما حصل منه مع شرف الأب المعهود عند النَّاس؛ فقد كان شرف الشريف، وكرم الكريم[١].

قلتُ: الحديثُ فيه تنبيهٌ على أنَّ في الجاهليِّين خياراً باعتبار الأمور الدنيوية، كإكرام الضيف ونحوه. ومن هنا قال الشوكانيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: فلا شكَّ أنَّ هذا الحديث يدلُّ على أنَّ لشرافة الأنساب وكرم النِّجار مدخلاً في كون أهلها خياراً، وخيارُ القوم أفضلهم، وإن لم يكنْ لذلك مدخلٌ باعتبار أمر الدِّين والجزاء الأخروي[٢]. اهـ.

قال شيخ الإسلام في «منهاج السنة»[٣] على هذا الحديث: بيَّن لهم أولاً: أنَّ أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وإن لم يكن ابن نبيٍّ ولا أبا نبيٍّ، فإبراهيم ﷺ، أكرم على الله من يوسف، وإن كان أبوه آزرَ وهذا أبوه يعقوب، وكذلك نوح أكرم على الله من إسرائيل، وإن كان هذا أولاده أنبياء، وهذا أولاده ليسوا بأنبياء. فلمَّا ذكروا أنه ليس مقصودهم إلا الأنسابُ، قال لهم: فأكرم

(١) «شرح القاضي عياض على مسلم» (٣٦٢/٧).

(٢) نقلاً عن «الفتح الرباني» للبنا (٢٢٦/١٢).

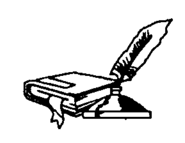
(٣) (٢١٥/٨-٢١٦).

أهل الأنساب من انتسب إلى الأنبياء، وليس في وَلَدِ آدم مثل يوسف، فإنه نبيٌّ، ابنُ نبيٍّ، ابنِ نبيٍّ. فلمَّا أشاروا إلى أنه ليس مقصودهم إلا ما يتعلَّق بهم، قال: «**أفَعن معادن العرب تسألوني؟ النَّاسُ معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»؛ بيَّنَ أن الأنساب كالمعادن، فإنَّ الرجل يتولَّد منه كما يتولَّد من المعدن الذهب والفضة، ولا ريب أنَّ الأرضَ التي تُنبِتُ الذَّهبَ أفضل من الأرض التي تُنبت الفضةَ، فهكذا من عُرف أنَّه يلد الأفاضلَ، كان أولادُه أفضل ممن عُرف أنه يلد المفضولَ. لكن هذا سببٌ ومظنَّةٌ، وليس هو لازماً، فربَّما تعطَّلت أرض الذهب، وربما قلَّ نبتُها، فحينئذٍ تكون أرض الفضة أحبَّ إلى الإنسان من أرض معطَّلة، والفضةُ الكثيرة أحب إليه من ذهبٍ قليلٍ لا يماثلُها في القدر. فلهذا كانت أهل الأنساب الفاضلة يُظَنُّ بهم الخيرُ، ويُكرَمُون لأجل ذلك، فإذا تحقَّق من أحدهم خلاف ذلك كانت الحقيقةُ مقدَّمة على المظنَّة، وأما ما عند الله فلا يَثْبُتُ على المظانِّ ولا على الدلائل، وإنما يَثْبُتُ على ما يعلمه هو من الأعمال الصالحة، فلا يحتاج إلى دليلٍ ولا يجتزئ بالمظنة. فلهذا كان أكرم الخلق عنده أتقاهم، فإذا قُدِّر تماثل اثنين عنده في التقوى تَماثَلَا في الدَّرجة؛ وإن كان أبو أحدهما أو ابنه أفضلَ من أبي الآخر أو ابنه، لكنْ إن حصل له بسبب نسَبِه زيادة التقوى؛ كان أفضل لزيادة تقواه. ولهذا حصل لأزواج النبيِّ ﷺ، إذْ قَنَتْنَ لله ورسوله وعملنَ صالحاً أجران لا لمجرَّد المصاهرة؛ بل لكمال الطاعة. كما أنَّهن لو أتين بفاحشةٍ مبيِّنة لضوعف لهن العذابُ ضعفين؛ لقبح المعصية، فإنَّ ذا الشرف إذا ألزمَ نفسَه التقوى؛ كان تقواه أكملَ من تقوى

غيره، كما أنَّ الملك إذا عدَلَ كان عدلُه أعظم ممَّن عدَلَ في أهله. ولهذا لم يُثْنِ الله على أحدٍ في القرآن بنَسَبِهِ أصلاً: لا على ولد نبيٍّ، ولا على أبي نبيٍّ، وإنَّما أثنَى على النَّاس بإيمانِهم وأعمالِهم. وإذا ذكَرَ صِنْفاً وأثنَى عليهم؛ فلِمَا فيهم من الإيمان والعمل؛ لا لمجرَّد النَّسب. ولما ذكر الأنبياءَ ـ ذكرَهم في الأنعام ـ وهم ثمانية عشر قال: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٧]؛ فبهذا حصلت الفضيلةُ باجْتِبائِه ـ سبحانه وتعالى ـ وهدايته إيَّاهم إلى صراط مستقيم؛ لا بنفسِ القرابة. وقد يوجب النَّسبُ حقوقاً، ويوجب لأجله حقوقاً، ويعلِّق فيه أحكاماً من الإيجاب والتحريم والإباحة، لكنِ الثوابُ والعقابُ والوعد والوعيد على الأعمال؛ لا على الأنساب. ولما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]؛ كان هذا مدحاً لهذا المعدَن الشَّريف، لما فيهم من الإيمان والعمل الصالح. ومن لم يتَّصف بذلك منهم لم يدخل في المدح، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد: ٢٦]، ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١١٣]، وفي القرآن الثناءُ والمدح للصحابة بإيمانهم وأعمالهم في غير آية، كقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ

ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]. وهكذا في القرآن الثناءُ على المؤمنين من الأُمَّة، أولها وآخرها؛ على المتقين والمحسنين والمقسطين والصالحين، وأمثال هذه الأنواع. وأما النسبُ ففي القرآن إثبات حقٍّ لذوي القُربى، كما ذكروا هم في آية الخمس والفيء. وفي القرآن أمرٌ لهم بما يُذهب عنهم الرِّجس ويُطهِّرُهم تطهيراً. وفي القرآن الأمرُ بالصلاة على النبيِّ ﷺ، وقد فُسِّر ذلك بأنْ يُصلَّى عليه وعلى آله. وفي القرآن الأمرُ بمحبة الله ومحبةِ رسوله، ومحبةُ أهله من تمام محبَّته ﷺ. وفي القرآن أنَّ أزواجَه أمهاتُ المؤمنين. وليس في القرآن مدحُ أحدٍ لمجرَّد كونه من ذوي القربى وأهل البيت، ولا الثناء عليهم بذلك، ولا ذكر استحقاقه الفضيلةَ عند الله بذلك، ولا تفضيله على من يساويه في التقوى بذلك. وإن كان قد ذَكَرَ ما ذكرَه من اصطفاء آل إبراهيم، واصطفاء بني إسرائيل؛ فذاك أمرٍ ماضٍ، فأخبرنا به في جعله عبرةً لنا، فبيَّن مع ذلك أنَّ الجزاء والمدح بالأعمال. ولهذا ذَكَرَ ما ذكَرَه من اصطفاء بني إسرائيل، وذكر ما ذكره من كُفر من كفَرَ منهم، وذنوبِهم، وعقوبَتِهم؛ فذكر فيهم النَّوعين الثواب والعقاب. وهذا من تمام تحقيق أنَّ النسَبَ الشريف قد يقترن به المدحُ تارةً؛ إن كان صاحبه من أهل الإيمان والتقوى، وإلا فإنَّ ذمَّ صاحبه أكثر، كما كان الذمُّ لمن ذُمَّ من بني إسرائيل وذرية إبراهيم، وكذلك المصاهرة؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

صَـٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ١٠ ـ ١١]. وإذا تبيَّنَ هذا فيقالُ: إذا كان الرجل أعجميّاً، والآخرُ من العرب، فنحنُ ـ وإن كنَّا نقول مجملاً: إنَّ العربَ أفضل جملةً ـ فقد قال النبيُّ ﷺ ـ فيما رواه أبو داود وغيرُه: «**لا فضلَ لعربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ؛ إلا بالتَّقوَى، والناسُ من آدمَ، وآدمُ من تُرابٍ**». وقال: «**إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية، وفخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ، فاجرٌ شقيٌّ**». ولذلك إذا كان الرجلُ من أفناء العرب، وآخرُ من قريش؛ فهما عند الله بحسب تقواهما: إنْ تماثَلَا فيها؛ تماثَلَا في الدَّرجة عند الله تعالى، وإنْ تفاضلا فيها تفاضَلا في الدَّرجة. وكذلك إذا كان رجلٌ من بني هاشم، ورجلٌ من أفناء قريش، أو العربِ، أو العجم؛ فأفضلُهما عند الله أتقاهُما، فإنْ تماثَلَا في التقوى؛ تماثلا في الدرجة، ولا يفضَّلُ أحدُهما عند الله لا بأَبيه، ولا بابْنِهِ، ولا بزوجته، ولا بعمِّه، ولا بأخيه. اهـ كلام ابن تيمية رحمه الله.



## الحديث الثاني والعشرون

عن واثلةَ بنِ الأَسقَعِ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل[(١)].

### قاعدة في الفضائل:

اتَّفق أهلُ السنة والجماعة على اعتقاد أنَّ جنسَ العرب أفضلُ من جنس العجم، وأنَّ قريشاً أفضلُ العرب، وأنَّ بني هاشم أفضلُ قريش، وأنَّ محمَّداً رسولَ الله ﷺ أفضلُ بني هاشم؛ فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً[(٢)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم»[(٣)]: وليس فضلُ العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم؛

(١) (١٧٨٢/٤) رقم: ٢٢٧٦).

(٢) ينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» ٣٧٤/١.

(٣) (٣٧٥/١ ـ ٤٠٥).

لمجرَّد كون النبيِّ ﷺ، منهم، وإن كان هذا من الفضلِ. بل هم في أنفسهم أفضلُ، وبذلك يَثْبُتُ لرسول الله ﷺ، أنَّه أفضل نفساً ونسباً، وإلا لَزِمَ الدَّورُ.

ثم ذكر شيخُ الإسلام الأدلةَ على ذلك فقال: إنَّ الله خصَّ العربَ ولسانَهم بأحكامٍ تميَّزوا بها، ثُمَّ خصَّ قريشاً على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوَّة، وغير ذلك من الخصائص، ثم خصَّ بني هاشم بتحريم الصدقة، واستحقاق قِسْطٍ من الفيء، إلى غير ذلك من الخصائص. فأعطى الله ـ سبحانه ـ كلَّ درجة من الفضل بحسبها والله عليم حكيم: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٧٥﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ۝١٢٤﴾ [الأنعام: ١٢٤].

روى البزَّار عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه، أنه قال: نُفضِّلُكم يا معشر العرب لتفضيل رسول الله ﷺ إيَّاكم: لا ننكح نساءَكم، ولا نَؤُمُّكم في الصلاةِ. وإسنادُه جيِّدٌ. وسببُ هذا الفضل ـ والله أعلم ـ: ما اختصُّوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم.. وذلك أنَّ الفضل إمَّا بالعلم النَّافع، وإمَّا بالعمل الصالح. والعلمُ له مبدأٌ: وهو قوَّة العقل الذي هو الفهمُ والحفظُ. وتمامٌ: وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة. والعربُ هم أفهم من غيرهم وأحفظُ، وأقدَرُ على البيان والعبارة. ولسانُهم أتمُّ الألسنة بياناً وتمييزاً للمعاني؛ جمعاً وفرقاً، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلِّم

الجمعَ، ثم يميِّز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميِّز مختصر، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا يُستراب فيها. وأما العملُ: فإنَّ مبناه على الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النَّفْس، وغرائزهم أطوعُ للخير من غيرهم، فهم أقربُ للسخاء والحِلْم والشجاعة والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعةً قابلةً للخير، معطَّلةً عن فِعْلِه، ليس عندهم علمٌ منزَّلٌ من السماء، ولا شريعةٌ موروثةٌ عن نبيٍّ، ولا هم ـ أيضاً ـ مشتغلين ببعض العلوم العقليَّة المحضَة؛ كالطِبِّ والحساب ونحوها، إنَّما علمهم ما سمحت به قرائحهم: من الشعر والخطب، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنُّجوم، أو من الحروب. فلمَّا بعث الله محمداً ﷺ بالهدَى ـ الذي ما جعل الله في الأرض، ولا يجعلُ أمراً؛ أجلَّ منه، وأعظم قدراً ـ وتلقَّوه عنه بعدَ مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم من تلك العادات الجاهلية، والظلمات الكفرية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتِها، فلما تلقَّوا عنه ذلك الهَدْيَ العظيمَ؛ زالت تلك الرِّيونُ[1] عن قلوبهم، واستنارتْ بهدي الله الذي أُنزلَ على عبده ورسوله، فأخذوا هذا الهديَ العظيم بتلك الفطرة الجيِّدة، فاجتَمعَ لهم: الكمالُ بالقوَّة المخلوقة فيهم، والكمالُ الذي أَنزل الله إليهم... إلى أن قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ: إنَّ الذي يجبُ على المسلم إذا نظر في الفضائل، أو تكلَّم فيها: أنْ يسلك سبيل العاقل

(١) الريون: جمع رين، وهو الطبع والدنس. «مختار الصحاح» (رين).

الدِّيِّن، الذي غرضُه أن يعرف الخيرَ، ويتحرَّاه جَهدَه، وليس غرضَه الفخرُ على أحدٍ، ولا الغَمصُ[1] من أحدٍ، فقد روى مسلم في «صحيحه»[2] عن عِياض بن حمار المجاشعيِّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّه أُوْحِيَ إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**». فنهَى الله سبحانه على لسان رسوله عن نوعَي الاستطالة على الخلق، وهي: الفخرُ والبغيُ؛ لأنَّ المستطيل إنْ استطال بحقٍّ فقد افتخرَ، وإنْ كان بغير حقٍّ فقد بغَى. فلا يحلُّ لا هذا ولا هذا. فإنْ كان الرجل من الطائفة الفاضلة ـ مثل أن يذكرَ فضلَ بني هاشم أو قريش أو العرب أو بعضهم ـ فلا يكن حظَّه استشعارُ فضل نفسه، والنَّظرُ إلى ذلك، فإنَّه مخطئ في هذا؛ لأنَّ فضل الجنس لا يستلزم فضلَ الشخص ـ كما قدَّمناهُ ـ فرُبَّ حبشيٍّ أفضلُ عند الله من جمهور قريشٍ. ثم هذا النظر يوجب نقصَه وخروجَه عن الفضل، فضلاً عن أنْ يستعليَ بهذا ويستطيل. وإذا كان من الطائفة الأخرى ـ مثل العجم أو غير قريش أو غير بني هاشم ـ؛ فليعلم أنَّ تصديقَه لرسول الله ﷺ فيما أخبر، وطاعتَه فيما أمر، ومحبةَ ما أحبَّه الله، والتشبُّهَ بمن فضَّل الله، والقيامَ بالدِّين الحقِّ الذي بعث به محمداً؛ يوجب له أنْ يكون أفضلَ من جمهور الطائفة المفضَّلَةِ، وهذا هو الفضلُ الحقيقيُّ. وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حين وضعَ

(١) [الغمض أو الغمصُ ـ على اختلاف النسخ ـ معناهما واحد، فالغمص هو الاستصغار، يقال: غمصه: إذا استصغره ولم يره شيئاً. والغمضُ: هو الازدراءُ].

(٢) [برقم: (٢٨٦٥)].

الدِّيوانَ، وقالوا له: يبدأُ أميرُ المؤمنين بنفسه! فقال: لا، ولكن ضعُوا عمرَ حيثُ وضعَهُ الله(١). فبدَأَ بأهل بيت رسولِ الله ﷺ ثم مَن يليهم، حتى جاءت نوبتُه في بني عَدِيٍّ؛ وهم متأخِّرُون عن أكثر بطون قريشٍ، ثم هذا الاتِّباعُ للحقِّ ونحوه؛ قدَّمَه على عامَّة بني هاشم، فضلاً عن غيرهم من قريش. اهـ.



(١) [انظر: «طبقات ابن سعد» ٣/٢٩٤، و«تاريخ الطبري» ٢/٥٧١].

# الخاتمة

تلخَّص مِمَّا قدَّمتُه في هذه الرسالة:

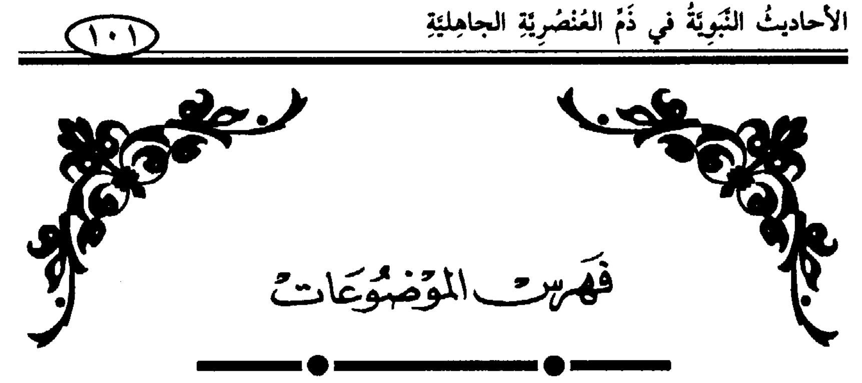
- أنَّ التفاخر بالأنساب من أمر الجاهلية، فخالفهم النبيُّ ﷺ في ذلك وقضَى على جميع صور العصبية الجاهلية، حتى تكون النفسُ منقادةً لله تعالى، لا تثيرها أي عصبية سوى عصبية الإسلام والحمية لدين الله عز وجل.
- وأنه لا يجوز احتقار أَنساب الناس، أو الطعن فيها.
- وأَنَّ انتساب بعض الناس إلى قبيلة ليس منها؛ كُفرٌ بالله عزَّ وجلَّ، وإن كان لا يخرج من ملَّة الإسلام، بيْدَ أنَّه كبيرة من كبائر الذنوب، ثم هو ضَعْفٌ وخَوَرٌ في هذا المنتسِب، وقلة تسليم لأمر الله عز وجل وقدره وحكمته.
- وأنَّ الإسلام لم يقض بإهدار القبليَّة، ولا نهى عن الانتساب إلى القبيلة والحرص على ضبط أصولها وحماية كيانها. بل حثَّ على تعلُّم الأنساب وحفظها، وفضَّل بعض القبائل على بعض، فجاء في الشرع بيان فضل قريش، وهكذا ذكر فضل غيرها من القبائل العربيَّة، إنَّما جاء الإسلام بإهدار العصبية الجاهلية لهذه القبائل، كأن

تُجعل هي عنوان الفضل، أو ينتصر أفرادها للشخص منهم بالفعل أو بالقول بعيداً عن معايير الشريعة الإسلامية، ونحو ذلك مما كان عليه أهل الجاهلية من تقديم عادات القبيلة على كل شيء، فهي حاكمة لا يحكم عليها.

- كما أنَّ ذكر فضائل القبائل الواردة في الشرع يجب أن يعتبر فيه التسليمُ المطلَقُ للشارعِ، وأن يفهم كما أراد الشرع الشريف لا أن يؤخذ على جهة التفاخر والتعاظم وازدراء الآخرين، فمن فعل ذلك فقد خرج عن مقصد الشرع على حال الجاهلية الأولَى، وكان كمن استدل بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ على المنع من الصلاة! جعلنا الله في عافية من ذلك، وأخذ بأيدينا إلى تحكيم شرع الله عز وجل في كل أمورنا، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.




فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |